المُغني في التَّفْسِير

المُحَرِّرُ الجَامِعُ لِتَفَاسِيرِ السَّلَفِ

[تَهْذِيبُ التَّفْسِيرِ المُحَرَّرِ لِلدُّرَرِ السَّنِيَّةِ]

[مُطَرَّزًا بِحَاشِيَةٍ مِنْ تَحْرِيرَاتٍ وَتَرْجِيحَاتٍ وَتَعْلِيقَاتِ عُيُونِ تَفَاسِيرِ المُحَقِّقِينَ فِي التَّفْسِيرِ:

{ابْنِ جَرِيرٍ، وَابْنِ عَطِيَّةَ، وَابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ، وَابْنِ كَثِيرٍ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى}

كَتَبَهُ وَاعْتَنَى بِهِ

د/ هَانِي بْن عَبْده

د/ آلَاء رِضَا

«المُغْنِي فِي التَّفْسِيرِ»

المُحَرِّرُ الجَامِعُ لِتَفَاسِيرِ السَّلَفِ

[تَهْذِيبُ التَّفْسِيرِ المُحَرَّرِ لِلدُّرَرِ السَّنِيَّةِ]

[مُطَرَّزًا بِحَاشِيَةٍ مِنْ تَحْرِيرَاتٍ وَتَرْجِيحَاتٍ وَتَعْلِيقَاتِ عُيُونِ تَفَاسِيرِ المُحَقِّقِينَ فِي التَّفْسِيرِ:

{ابْنِ جَرِيرٍ، وَابْنِ عَطِيَّةَ، وَابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ، وَابْنِ كَثِيرٍ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى}

مُقْتَبَسَةً مِنْ مُوسُوعَةِ التَّفْسِيرِ المَأْثُورِ

كَتَبَهُ وَاعْتَنَى بِهِ

د/ هَانِي بْنُ عَبْدِهِ

د/ آلَاء رِضَا

غَفَرَ اللَّهُ لَهُمَا وَلِوَالِدَيْهِمَا وَلِمَشَايِخِهِمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ

بسم الله الرحمن الرحيم

«المُغْنِي فِي التَّفْسِيرِ»

المُحَرِّرُ الجَامِعُ لِتَفَاسِيرِ السَّلَفِ

سُورَةُ القَمَرِ، سورةُ الرَّحْمنِ، سورة الواقِعةِ

(المجلَّدُ السَّادِسُ والثَّلاثون)

" نُسْخَةٌ إِلِكْتِرُونِيَّةٌ، حُقُوقُهَا مَحْفُوظَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ "

نسخة إلكترونية

تَفْسِيرُ
سُورَةِ القَمَرِ

سُورةُ القَمَرِ

سُورةُ القَمَرِ

سُمِّيَت هذه السُّورةُ بسُورةِ (القَمَرِ).[1]

فضائل السورة وخصائصها:

مِنَ السُّنَّةِ قِراءةُ سُورةِ القَمَرِ في الرَّكعةِ الثَّانيةِ مِن صَلاةِ العِيدِ:

عن عُبَيدِ اللهِ بنِ عَبدِ اللهِ: أنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ سأل أبا واقِدٍ اللَّيْثيَّ: ((ما كان يَقرَأُ به رَسولُ اللهِ – ﷺ – في الأضحَى والفِطرِ؟ فقال: كان يَقرَأُ فيهما بـ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ [ق: 1] واقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ [القمر: 1])).[2]

---

(1) سُمِّيت سورةَ القَمَرِ؛ لاشتمالِها على ذِكرِ انشِقاقِ القَمَرِ.

يُنظر: ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (445/1).

وتُسمَّى أيضًا: سورة اقْتَرَبَتِ حِكايةً لأوَّلِ كَلِمةٍ افتُتِحَت بها.

وتُسمَّى اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ لحديثِ أبي واقدٍ في ((صحيح مسلم)) (891).

يُنظر: ((فتح الباري)) لابن حجر (615/8)، ((الإتقان)) للسيوطي (194/1)، ((التفسير الوسيط)) لطنطاوي (93/14).

(2) أخرجه مسلم (891).

سورةُ القَمرِ مَكِّيَّةٌ،[3] نَقَل الإجماعَ على ذلك غيرُ واحِدٍ مِنَ المفَسِّرينَ.[4]

مِن أهمِّ مَقاصِدِ هذه السُّورةِ:

الحَديثُ عن سُنَنِ اللهِ تعالى في خَلْقِه، الَّتي مِن أبرَزِ مَظاهِرِها نَصرُ المؤمِنينَ، وخِذْلانُ الكافِرينَ.

مِن أهمِّ مَوضوعاتِ هذه السُّورةِ:

1- الإنذارُ باقترابِ القيامةِ، وتَسجيلُ مُكابَرةِ المُشرِكينَ في الآياتِ البَيِّنةِ، وجُحودِهم للحَقِّ بعدَ إذ جاءَهم.

2- أمْرُ الرَّسولِ - ﷺ - بالإعراضِ عنهم حتَّى يأتيَ قَضاءُ اللهِ فيهم.

---

(3) وقيل: مَكِّيَّةٌ إلَّا ثلاثَ آياتٍ؛ مِن قَولِه تعالى: أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ [القمر: 44] إلى قَولِه تعالى: وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ [القمر: 46]؛ فمَدَنيَّةٌ.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (103/22)، ((تفسير الماوردي)) (408/5)، ((تفسير الزمخشري)) (430/4).

(4) ممَّن نقَل الإجماعَ على ذلك: ابنُ عطية، وابن الجوزي، والفيروزابادي، والبِقاعي.

يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (192/5)، ((تفسير ابن الجوزي)) (196/4)، ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (445/1)، ((مصاعد النظر)) (39/3).

قال القرطبي: (سُورةُ القَمَرِ مَكِّيَّةٌ كُلُّها في قَولِ الجُمهورِ).

((تفسير القرطبي)) (125/17).

ذكر ابنُ عطية (٨/ ١٣٦) أن هذه السورة مكية بإجماع، إلا آية واحدة اختُلف فيها، وهي قوله: ﴿سيهزم الجمع﴾ [القمر: ٤٥]، فقال جمهور الناس: هي مكية.

وقال قوم: هي مما نزل ببدر.

وقيل: بالمدينة.

ورجّح (٨/ ١٥٣) عند تفسيره لها أنها مكية، ولم يذكر مستندًا.

3- إنذارُ المُشركِينَ بما سيَكونونَ عليه يومَ القيامةِ مِن ذِلَّةٍ ونَدامةٍ وحَسْرةٍ.

4- ذِكرُ قَصَصِ المُكَذِّبينَ مِن سالِفي الأُمَمِ؛ كقَومِ نُوحٍ، وعادٍ، وثَمودَ، وقَومِ فِرعَونَ، وما لاقَوه مِن الجزاءِ على تكذيبِهم، وما حَلَّ بهم مِن هَلاكٍ ودَمارٍ.

5- توبيخُ المُشرِكينَ على عَدَمِ الاعتِبارِ بهذه النُّذُرِ، وذِكرُ ما يُلاقُونَه مِنَ الجَزاءِ في الآخِرةِ إهانةً وتحقيرًا لهم.

6- بيانُ مَظاهِرِ قُدرةِ اللهِ تعالى، وبَليغِ حِكمتِه، وأنَّ كُلَّ شَيءٍ بقَضائِه وقَدَرِه، وأنَّ مَشيئتَه نافِذةٌ في الكَونِ، وأنَّه قد أحاط عِلمًا بأفعالِهم وبكُلِّ شَيءٍ.

7- خُتِمَت السُّورةُ بتبشيرِ المتَّقينَ بحُسنِ العاقبةِ، وما يُؤتَونَه مِنَ الكَرامةِ.

سُورةُ القَمَرِ

الآيات (1–8)

اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (1) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (2) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ (3) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (4) حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ (5) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ (6) خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ (7) مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ (8)

غريب الكلمات:

مُسْتَمِرٌّ: أي: ذاهِبٌ، مِن قَولِهم: مَرَّ الشَّيءُ على وَجهِه واستَمَرَّ، أي: ذَهَبَ، وقيل: شَديدٌ قَوِيٌّ مُحكَمٌ؛ مِن قَولِهم: قد مرَّ الحَبْلُ: إذا صَلُبَ وقَوِيَ واشتَدَّ، وأصلُ (مرر) هنا: يدُلُّ على مُضِيِّ الشَّيءِ.

مُسْتَقِرٌّ: أي: واقِعٌ كائِنٌ، وأصلُ (قرر): يدُلُّ على تمكُّنٍ.

مُزْدَجَرٌ: أي: مُتَّعَظٌ ومُنتهًى عن الشِّركِ والمَعاصي، وأصلُ (زجر): يدُلُّ على الانتِهارِ.

النُّذُرُ: أي: الرُّسُلُ، وأصلُ (نذر): يدُلُّ على تخويفٍ.

نُكُرٍ: أي: مُنكَرٍ فَظيعٍ، وأصلُ (نكر): يدُلُّ على خِلافِ المَعرِفةِ.

خُشَّعًا: أي: ذَليلةً خاضِعةً، وأصلُ (خشع): يدُلُّ على التَّطامُنِ.

الْأَجْدَاثِ: أي: القُبورِ، جَمعُ جَدَثٍ.

مُهْطِعِينَ: أي: مُسرِعِينَ مُقبِلِينَ، وأصلُ (هطع): يدُلُّ على إقبالٍ على الشَّيءِ وانقيادٍ.

عَسِرٌ: أي: صَعبٌ شَديدٌ، وأصلُ (عسر): يدُلُّ على صُعوبةٍ وشِدَّةٍ.

تفسير الآيات:

اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (1).

أسبابُ النُّزولِ:

عن عبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: (انشَقَّ القَمَرُ على عَهدِ رَسولِ اللهِ - ﷺ -، فقالت قُرَيشٌ: هذا سِحرُ ابنِ أبي كَبْشةَ![5] سَحَرَكم، فسَلُوا السُّفَّارَ،[6] فسَألُوهم، فقالوا: نَعَمْ، قد رَأَيْناه، فأنزَلَ اللهُ تبارك وتعالى: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ).[7]

---

(5) أبو كَبْشةَ: رجُلٌ مِن خُزاعةَ خالَفَ قُرَيشًا في عبادةِ الأوثانِ، وعَبَد الشِّعْرَى، فلمَّا خالَفَهم النَّبيُّ - ﷺ - في عبادةِ الأوثانِ شَبَّهوه به، ونَسَبوه - ﷺ - إليه.

وقيل: إنَّه كان جَدَّ النَّبيِّ - ﷺ - مِن قِبَلِ أمِّه، فأرادوا أنَّه نَزَعَ في الشَّبَهِ إليه.

يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (144/4).

(6) السُّفَّارَ: أي: المسافِرينَ.

يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (371/2)، ((مختار الصحاح)) لزين الدين الرازي (ص: 148).

(7) أخرجه الطَّيالسي (293)، والطَّحاوي في ((شرح مُشْكِل الآثار)) (697) مختصَرًا، وابنُ جرير في ((التفسير)) (567/22) واللَّفظُ له.

صَحَّحه ابنُ حجر في ((موافقة الخُبْرِ الخَبَرَ)) (203/1)، وصَحَّح إسنادَه على شرطِ البخاريِّ شعيبُ الأرناؤوط في تخريج ((شرح مُشْكِل الآثار)) (697).

وعن أنَسٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: (سألَ أهلُ مكَّةَ النَّبيَّ - ﷺ - آيةً، فانشَقَّ القمَرُ بمكَّةَ مرَّتَين،[8] فنَزَلت اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ إلى قولِه: سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ، يقولُ: ذاهِبٌ).[9]

اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ.

أي: دَنَت القيامةُ الَّتي يَبعَثُ اللهُ فيها عِبادَه للحِسابِ والجَزاءِ!

قال الله تبارك وتعالى: اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ [الأنبياء: 1 - 3].

وعن أنَسٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رَسولُ اللهِ - ﷺ -: ((بُعِثْتُ أنا والسَّاعةُ كهاتَينِ -وضَمَّ السَّبَّابةَ والوُسْطى)).[10]

---

(8) مرَّتَين: أي: شِقَّتَينِ وفِلقتَينِ.
يُنظر: ((إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان)) لابن القيم (301/1)، ((البداية والنهاية)) لابن كثير (304/4)، ((فتح الباري)) لابن حجر (183/7).

(9) أخرجه الترمذي (3286) واللَّفظُ له، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (11554)، وأحمد (12688).
قال الترمذي: (حسَنٌ صحيحٌ)، وصَحَّحه الحاكمُ في ((المستدرك)) (513/2) وقال: (على شرطهما)، والألبانيُّ في ((صحيح سنن الترمذي)) (3286)، وصَحَّح إسنادَه على شرط الشَّيخينِ شعيبٌ الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (118/20).
والحديثُ أصلُه في الصَّحيحَينِ دونَ ذِكرِ نُزولِ الآيةِ؛ أخرجه البخاري (4867)، ومسلم (2802).

(10) رواه البخاري (6504)، ومسلم (2951) واللَّفظُ له.

وعن عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهما، أنَّه سَمِعَ رَسولَ الله - ﷺ - يقولُ: ((إنَّما أجَلُكم في أجَلِ مَن خَلا مِنَ الأُمَمِ ما بيْنَ صلاةِ العَصرِ إلى مَغرِبِ الشَّمسِ!)).[11]

وَانْشَقَّ الْقَمَرُ.

أي: وقد انفَلَق القَمَرُ، فصار فِلقَتَينِ بإذنِ اللهِ؛ تأييدًا لنبيِّه محمَّدٍ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ.[12]

عن عبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((انشَقَّ القَمَرُ على عَهدِ رَسولِ الله - ﷺ - شِقَّتَينِ، فقال النَّبيُّ - ﷺ -: اشهَدوا!)).[13]

وعن أنَسِ بنِ مالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنه: ((أنَّ أهلَ مَكَّةَ سألوا رَسولَ اللهِ - ﷺ - أن يُرِيَهم آيةً، فأراهم القَمَرَ شِقَّتَينِ، حتَّى رأَوا حِراءً بَيْنَهما)).[14]

---

(11) رواه البخاري (3459).

(12) نقل ابنُ عطية (٨/ ١٣٧) عن الثعلبي أنه قيل: إنّ المعنى: ينشق القمر يوم القيامة.
وانتقده مستندًا للسنة، والإجماع، فقال: «وهذا ضعيف، والأمّة على خلافه».
وساق الآثار في ثبوت ذلك ووقوعه.
وذكر ابنُ كثير (١٣/ ٢٨٩) أن وقوع انشقاق القمر في زمان النبي - ﷺ - أمر متفق عليه بين العلماء، وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات.

(13) رواه البخاري (3636) واللَّفظُ له، ومسلم (2800).

(14) رواه البخاري (3868) واللَّفظُ له، ومسلم (2802).

وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (2).

أي: وإنْ يَرَ مُشرِكو قُرَيشٍ عَلامةً باهِرةً تَدُلُّهم على صِدقِ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ - ﷺ -، يُعرِضوا عن الإيمانِ بها، ويَقولوا مُنكِرينَ لها: هذا الَّذي يُرينا مُحَمَّدٌ مِنَ المُعجِزاتِ -كانشِقاقِ القَمَرِ- سِحرٌ ذاهِبٌ باطِلٌ لا قَرارَ له، وخيالٌ لا حقيقةَ له!

وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ (3).

وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ.

أي: وكَذَّبوا بالحَقِّ، واتَّبَعوا ما يَشتَهونَه ويَختارونَه مِنَ الباطِلِ بلا دَليلٍ ولا بُرهانٍ.

كما قال الله تبارك وتعالى: فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ [القصص: 50].

وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ.

أي: وكُلُّ أمرٍ لا بُدَّ أن يَستَقِرَّ في نهايتِه إلى غايةٍ في الدُّنيا أو في الآخِرةِ؛ فالحَقُّ ثابِتٌ، والباطِلُ زائِلٌ، وأهلُ الخَيرِ يَستَقِرُّونَ في الجَنَّةِ، وأهلُ الشَّرِّ يَستَقِرُّونَ في النَّارِ.

قال تعالى: لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ [الأنعام: 67].

وقال الله سُبحانَه وتعالى: وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا [الإسراء: 81].

وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (4).

أي: ولقد جاء مُشركي قُرَيشٍ مِنَ الأنباءِ ما فيه زَجرٌ لهم وانتِهاءٌ يَردَعُهم عن الكُفرِ باللهِ، والتَّكذيبِ بآياتِه ورُسُلِه.

حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ (5).

حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ.

أي: حِكمةٌ تامَّةٌ كامِلةٌ –قد بَلَغَت الغايةَ، فلا نَقْصَ فيها ولا خَلَلَ–، واصِلةٌ إلى المقصودِ منها.

فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ.

أي: فما تَنفَعُهم النُّذُرُ وهم مُعرِضونَ عن الآياتِ.[15]

قال تعالى: وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ [يونس: 101].

فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ (6).

فَتَوَلَّ عَنْهُمْ.

(15) ذكر ابنُ عطية (٨/ ١٣٩) أن «ما» في قوله: ﴿فما تغن النذر﴾ تحتمل احتمالين: الأول: أن تكون نافية، أي: ليس تغني مع عتوّ هؤلاء الناس.
الثاني: أن تكون استفهامًا بمعنى التقرير، أي: فما غناء النذر مع هؤلاء الكفرة؟!.

أي: فأعرِضْ –يا محمَّدُ– عن هؤلاء المكذِّبين المُعانِدينَ.

يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ.

أي: يومَ يَدعو داعي اللهِ النَّاسَ إلى مَوقِفٍ فَظيعٍ، شَديدِ البَلاءِ، كَثيرِ الأهوالِ، لم يُشاهِدِ النَّاسُ له نظيرًا.

كما قال تعالى: وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ * يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ [ق: 41، 42].

خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ (7).

خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ.

أي: يَخرُجونَ مِن قُبورِهم والحالُ أنَّ أبصارَهم ذَليلةٌ خاضِعةٌ؛ مِن شِدَّةِ خوفِهم وفَزَعِهم!

كما قال الله تبارك وتعالى: خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ [المعارج: 44].

وقال سُبحانَه: قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ * أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ [النازعات: 8، 9].

يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ.

أي: يَخرُجونَ مِنَ القُبورِ، فيَتوَجَّهونَ إلى مَوقِفِ الحِسابِ، وكأنَّهم في انتِشارِهم وكَثرتِهم جَرادٌ مُنتَشِرٌ.

كما قال تعالى: يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ [المعارج: 43، 44].

مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ (8).

مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ.

أي: يَخرُجونَ مِن قُبورِهم مُقبِلينَ مُسرِعينَ إلى الدَّاعي؛ تلبيةً لِندائِه.

كما قال تعالى: مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ [إبراهيم: 43].

وقال سُبحانَه: يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ [طه: 108].

يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ.

أي: يقولُ الكافِرونَ باللهِ يومَ القيامةِ: هذا يومٌ في غايةِ العُسْرِ والصُّعوبةِ والشِّدَّةِ.

كما قال عزَّ وجلَّ: وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا [الفرقان: 26].

وقال الله سُبحانَه وتعالى: فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ * عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ [المدثر: 9، 10].

سُورةُ القَمَرِ

الآيات (9–17)

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (9) فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ
فَانْتَصِرْ (10) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (11) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى
الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (12) وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (13) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً
لِمَنْ كَانَ كُفِرَ (14) وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (15) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ
(16) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (17)

غريب الكلمات:

وَازْدُجِرَ: أي: انتُهِر وزُجِر وأُوعِدَ، أو استُطيرَ جُنونًا، وأصلُ (زجر): يدُلُّ على انتِهارٍ.

مُنْهَمِرٍ: أي: كثيرٍ، سَريعِ الانصِبابِ، وأصلُ (همر): يدُلُّ على صَبٍّ وانصِبابٍ.

قُدِرَ: أي: قُضِيَ، والقَدَرُ: قَضاءُ اللهِ تعالى الأشياءَ على مَبالِغِها ونهاياتِها الَّتي أرادَها لها، وأصلُ (قدر): يدُلُّ على مَبلَغِ الشَّيءِ وكُنْهِه ونِهايتِه.

أَلْوَاحٍ: أي: خَشَبٍ عَريضٍ، واللَّوحُ: واحِدُ ألواحِ السَّفينةِ.

وَدُسُرٍ: أي: مَساميرَ تُشَدُّ بها الألواحُ، وأصلُ (دسر): يدُلُّ على دَفعٍ شَديدٍ؛ لأنَّ المِسمارَ يُدفَعُ أبدًا حتَّى يَستويَ.

كُفِرَ: أي: جُحِدَ، والكُفرُ في اللُّغةِ: سَترُ الشَّيءِ.

مُدَّكِرٍ: أي: مُتَذَكِّرٍ مُتَّعِظٍ، مُعتَبِرٍ خائفٍ، وأصلُه مُذْتَكِرٌ مُفْتَعِلٌ مِنَ الذِّكْرِ، فقُلِبَت التَّاءُ دالًا، وأُدْغِمَت الذَّالُ فيها، وأصلُ (ذكر): يدُلُّ على خِلافِ النِّسيانِ.

وَنُذُرِ: أي: إنذاري، وهو اسمٌ مِنَ الإنذارِ يقومُ مَقامَ المَصدَرِ، والإنذارُ: الإبلاغُ، ولا يكونُ إلَّا في التَّخويفِ، وأصلُ (نذر): يدُلُّ على تَخويفٍ.

تفسير الآيات:

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾ (9).

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا.

أي: كذَّبت قبْلَ كُفَّارِ قُرَيشٍ قومُ نوحٍ، فكذَّبوا عَبْدَنا نُوحًا حينَ أرسَلْناه إليهم.

وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ.

أي: وقال قومُ نوحٍ عن رَسولِهم نوحٍ عليه السَّلامُ: هو مجنونٌ. وزجَروه بشدَّةٍ وعُنفٍ.

كما قال الله تبارك وتعالى: قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ [الأعراف: 60].

وقال سُبحانَه: قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ [الشعراء: 116].

﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾ (10).

أي: فدعا نوحٌ ربَّه قائِلًا: إنَّ قومي غلَبوني بتمَرُّدِهم وكُفرِهم، وتَكذيبِهم وتخويفِهم؛ فانتَصِرْ لي منهم!

كما قال تعالى: وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ [الأنبياء: 76].

وقال سُبحانَه: وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ * وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ [الصافات: 75، 76].

فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (11).

أي: فاستَجَبْنا لنُوحٍ دُعاءَه على قَومِه، ففَتَحْنا أبوابَ السَّماء بماءٍ مُتدَفِّقٍ مُنصَبٍّ بكَثرةٍ وشِدَّةٍ.

وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (12).

وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا.

أي: وأنبَعْنا الماءَ بقُوَّةٍ وكَثرةٍ مِنَ الأرضِ.

فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ.

أي: فالتَقى ماءُ السَّماءِ وماءُ الأرضِ على أمرٍ قد كَتَبه اللهُ تعالى وقَضاه!

وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (13).

أي: وحَمَلْنا نُوحًا على سَفينةٍ ذاتِ ألواحٍ مِن خَشَبٍ، وذاتِ مَساميرَ قد رُبِطَت بها تلك الألواحُ.(16)

كما قال الله تبارك وتعالى: فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ [العنكبوت: 15].

وقال سُبحانَه: فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ [الشعراء: 119].

---

(16) ذكر ابن عطية (٨/ ١٤٣ – ١٤٤) أن جمهور الناس على أنّ السفينة كانت على هيئة السفن اليوم كجُؤْجُؤ الطائر. ثم بيّن أنه ورد في بعض الكتب أنها كانت مربّعة، طويلة في السماء، واسعة السّفل، ضيّقة العلو، وكان أعلاها مفتوحًا للهواء والتنفس؛ لأن الغرض منها إنما كانت السلامة حتى ينزل الماء، ولم يكن طلب الجري وقصد المواضع المعيّنة، ومع هذه الهيئة فلها مجرى ومرسى، ثم علّق بقوله: «والله أعلم كيف كانت، والكلّ محتمل».

تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ (14).

تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا.

أي: تجري سَفينةُ نُوحٍ على الماءِ بمَرأًى مِنَّا، وحِفظٍ ورعايةٍ مِنَّا.(17)

جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ.

أي: أغرَقْنا قومَ نُوحٍ وأنجَيْناه ومَن معه؛ ثوابًا لنُوحٍ على صَبْرِه على أذى قَومِه، وتَكذيبِهم وكُفْرِهم به.(18)

---

(17) ذكر ابنُ عطية (٨/ ١٤٣) أنّ الجمهور على هذا القول، وأنّ قوله: ﴿بأعيننا﴾ معناه: بحفظنا وكفايتنا وتحت نظرنا منّا لأهلها.

وساق قولين آخرين: الأول: أن المراد مَن حفظها مِن الملائكة، سمّاهم: عيونًا.

الثاني: أن قوله: ﴿بأعيننا﴾ يريد به: العيون المفجَّرة من الأرض.

ونسبه للرمّاني.

وانتقده بقوله: «وهذا ضعيف».

(18) اختُلف في معنى قوله: ﴿جزاء لمن كان كفر﴾ على قولين: الأول: أن المعنى: فعلنا ذلك جزاء لمن كان كفر فيه، بمعنى: كفر بالله فيه.

الثاني: جزاء لما كان كُفر من أيادي الله ونِعمه.

وعلى هذا القول وُجّه معنى «مَن» إلى «ما».

ورجَّح ابنُ جرير (٢٢/ ١٢٧ – ١٢٨) –مستندًا إلى دلالة اللغة، والقرآن– القول الأول الذي قاله مجاهد، فقال: «لأن معنى الكفر: الجحود، وهو الذي جحد ألوهيته ووحدانيته قوم نوح، فقال بعضهم لبعض: ﴿لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا﴾ [نوح: ٢٣].

ومَن ذهب به إلى هذا التأويل كانت» مَن «: الله، كأنه قيل: غُرّقت لله بكفرهم به.

ثم ساق احتمالًا آخر، هو قريب من قول مقاتل، فقال:» ولو وجّه موجّهٌ إلى أنها مرادٌ بها نوح والمؤمنون به كان مذهبًا، فيكون معنى الكلام حينئذ: فعلنا ذلك جزاء لنوح ولمن كان معه في الفُلك، كأنه قيل: غرّقناهم لنوح ولصنيعهم بنوح ما صنعوا من كُفرهم به".

وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (15).

وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً.

أي: ولقد تَرَكْنا فَعلَتَنا بقومِ نوحٍ وإهلاكَنا لهم عِبرةً وعِظةً لِمَن بعدَهم لِيَنتَهوا عن الكُفرِ باللهِ والتَّكذيبِ برُسُلِه؛ كيلا تكونَ عاقِبتُهم مِثلَ عاقِبةِ قَومِ نُوحٍ، وأبقَيْنا جنسَ السُّفنِ علامةً على رحمةِ اللهِ وعنايتِه بخَلقِه، وكَمالِ قُدرتِه، وبَديعِ صَنعتِه، وعِبرةً على ما جرَى لنوحٍ مع قومِه.

كما قال الله تعالى: فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ [العنكبوت: 15].

وقال سُبحانَه: إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ * لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ [الحاقة: 11، 12].

وعلَّق ابنُ عطية (٨/ ١٤٤) على القول الأول، بقوله: «كأنه قال: غضبًا وانتصارًا لله تعالى، أي: انتصَر لنفسه، فأنجى المؤمنين، وأغرق الكافرين».

فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ.

أي: فهل مِن مُتذكِّرٍ لِما قد فُعِل بتلك الأُمَّةِ الَّتي كفَرَت بربِّها، وعَصَت رَسولَه نُوحًا؛ فيتَّعِظَ بذلك ويَعتَبِرَ؟(19)

كما قال تعالى: إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ * لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ [الحاقة: 11، 12].

فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ.

أي: فكيف كان عذابي لأولئك الكُفَّارِ مِن قَومِ نُوحٍ؟ وكيف كان إنذاري؟

كما قال تعالى: وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ [الملك: 18].

---

(19) اختُلف في معنى قوله: ﴿فهل من مدكر﴾ على قولين: الأول: أنه يعني: فهل من معتبرٍ ومتّعظ.
الثاني: فهل من طالب خير فيُعان عليه.
ورجَّح ابنُ جرير (٢٢/ ١٣١) القول الأول مستندًا إلى الأغلب في اللغة، فقال: «لأن ذلك هو الأغلب من معانيه على ظاهره».
وبيّن أن القول الثاني قريب مما قاله.

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (17).

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ.

أي: ولقد سَهَّلْنا القُرآنَ للتَّذَكُّرِ به، وحُصولِ الفَهمِ والاتِّعاظِ به.

كما قال تعالى: فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ [الدخان: 58].

وقال سُبحانَه: كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ [ص: 29].

فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ.

أي: فهل مِن مُتذَكِّرٍ؛ فيَتَّعِظَ ويَعتَبِرَ بما في القُرآنِ الكريمِ؟

سُورةُ القَمَرِ

الآيات (18-22)

كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (18) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (19) تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ (20) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (21) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (22)

غريب الكلمات:

صَرْصَرًا: أي: شَديدةَ البَردِ والصَّوتِ، والصَّرصَرُ: الرِّيحُ العاصِفةُ الَّتي يكونُ لها صَرصَرةٌ، أي: دَوِيٌّ في هُبوبِها؛ مِن شِدَّةِ سُرعةِ تنقُّلِها، والتَّضعيفُ فيه للمُبالَغةِ في شِدَّتِها، مأخوذٌ مِن الصِّرِّ: وهو البَرَدُ الَّذي يَصُرُّ، أي: يجمَعُ ويَقبِضُ.

نَحْسٍ: أي: شُؤْمٍ وشَرٍّ، وأصلُه يدُلُّ على خِلافِ السَّعدِ.

تَنْزِعُ النَّاسَ: أي: تقلَعُهم مِن مَواضعِهم، ونَزَعَ الشَّيءَ: جَذَبه مِن مقرِّه، وأصلُ (نزع): يدُلُّ على قَلْعِ شَيءٍ.

أَعْجَازُ: أي: أُصولُ، وأصلُ (عجز) هنا: يدُلُّ على مُؤَخَّرِ الشَّيءِ.

مُنْقَعِرٍ: أي: مُنقَطِعٍ مِن أصولِه، ساقِطٍ على الأرضِ، يُقالُ: قَعَرتُ النَّخلةَ: إذا قلَعْتَها مِن أصْلِها حتَّى تَسقُطَ، وقَعرُ الشَّيءِ: نهايةُ أسفَلِه.

تفسير الآيات:

كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (18).

أي: كذَّبت قَبيلةُ عادٍ رَسولَهم هُودًا، فكيف كان عذابي لهم جزاءَ تَكذيبِهم؟ وكيف كان إنذاري؟

كما قال تعالى: وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ [هود: 59].

وقال سُبحانَه: كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ [الشعراء: 123].

إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (19).

إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا.

أي: إنَّا بَعَثْنا عليهم حينَ أصَرُّوا على كُفرِهم رِيحًا بارِدةً شَديدةَ الهُبوبِ، لِصَوتِها صَريرٌ.[20]

فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ.

أي: في يَومِ شُؤمٍ وشَرٍّ دائمٍ على عادٍ، استمرَّ عليهم بنُحوسِه.[21]

---

(20) ذكر ابنُ عطية (٨/ ١٤٦) أنّ مَن قال: «الصّرصر» معناه: الباردة، فهو: الصرّ.
ومَن قال معناه: المصوّتة نحو هذين الحرفين.
فهو مأخوذ من صوت الريح إذا هبّت دفعًا، كأنها تنطق بهذين الحرفين؛ الصاد والراء.

(21) ذكر ابنُ عطية (٨/ ١٤٦) أن ما جاء في الأحاديث بأنّ النّحس هو يوم الأربعاء جعل بعضَ الناس يتأول أنه مستصحب في الزمن كلّه، وانتقده بقوله: «وهذا عندي ضعيف، وإن كان الدولابي أبو بشر قد ذكر حديثًا رواه أبو جعفر المنصور، عن

كما قال تعالى: فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ [فصلت: 16].

وقال سُبحانَه: سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا [الحاقة: 7].

تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ (20).

أي: تَقتَلِعُ الرِّيحُ كُفَّارَ عادٍ بعُنفٍ وشِدَّةٍ، فترْفعُهم ثمَّ تَرْمي بهم وتَطرَحُهم إلى الأرضِ فتَصرَعُهم، وتكونُ جُثَثُهم بعدَ هَلاكِهم مِثلَ أُصولِ نَخلٍ مُنقَلِعٍ مِن مَنْبِتِه!

كما قال تعالى: فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ [الحاقة: 7].

فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (21).

أي: فكيف كان عَذابي لعادٍ على كُفرِهم؟ وكيف كان إنذاري؟!

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (22).

أبيه محمد، عن أبيه علي، عن أبيه عبد الله بن عباس، قال: قال رسول الله - ﷺ -: «آخر أربعاء من الشهر يوم نحْسٍ مستمِرّ»».

ثم قال: «ويوجد نحو هذا في كلام الفُرس والأعاجم، وقد وُجد ذِكر الأربعاء التي لا تدور في شعر لبعض الخُراسانيّين المولدين».

وذكر (٥/ ٢١٦ ط: دار الكتب العلمية) أنّ النَّقاش نسب لجعفر بن محمد القول بأنه كان في أربعاء لا تدور، وأنه قال: كان القمر منحوسًا بزُحل.

وانتقده، فقال: «وهذه نزعة سوء عياذًا بالله أن تصحّ عن جعفر بن محمد».

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ.

أي: ولقد سهَّلْنا القُرآنَ للتَّذَكُّرِ به، وحُصولِ الفَهمِ والاتِّعاظِ به.

فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ.

أي: فهل مِن مُتذَكِّرٍ؛ فيَتَّعِظَ ويَعتَبِرَ بما في القُرآنِ الكريمِ؟

سُورةُ القَمَرِ

الآيات (23-32)

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ (23) فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (24)
أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ (25) سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ
(26) إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ (27) وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ
كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ (28) فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ (29) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ
(30) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ (31) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ
لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (32)

غريب الكلمات:

وَسُعُرٍ: أي: شَقاءٍ وعَناءٍ وعَذابٍ، أو جُنُونٍ؛ مِن قَولِهم: ناقةٌ مَسعورةٌ: إذا كانت كأنَّ بها جُنونًا، وأصلُ (سعر): يدُلُّ على اشتِعالِ شَيءٍ واتِّقادِه.

أَشِرٌ: أي: مُتكَبِّرٌ بَطِرٌ يُريدُ أن يَتعظَّمَ علينا بالنُّبُوَّةِ. والأَشَرُ: المَرَحُ والتَّجَبُّرُ والكِبرياءُ، وأصلُ (أشر): يدُلُّ على الحِدَّةِ.

فِتْنَةً: أي: اختِبارًا، وابتِلاءً، وامتِحانًا، وأصلُ (فتن): يدُلُّ على اختِبارٍ وابتِلاءٍ.

فَارْتَقِبْهُمْ: أي: فانتَظِرْهم وتَبصَّرْ ما هم صانِعوه، وأصلُ (رقب): يدُلُّ على انتِصابٍ لِمُراعاةِ شَيءٍ.

شِرْبٍ: أي: نصيبٍ وحظٍّ مِن الماءِ.

مُحْتَضَرٌ: أي: محضورٌ مَشهودٌ، وأصلُ (حضر): يدُلُّ على الوُرودِ والمُشاهَدةِ.

فَتَعَاطَى: أي: فتَناوَلَ النَّاقةَ؛ مِنَ العَطوِ: وهو التَّناوُلُ باليَدِ، وأصلُ (عطو): يدُلُّ على أخذٍ ومُناوَلةٍ.

فَعَقَرَ: أي: قَتَل ونَحَر، وأصلُ (عقر) هنا: يدُلُّ على جَرحٍ.

صَيْحَةً: الصَّيحةُ: المرَّةُ مِن الصَّوتِ الشَّديدِ، المُزعِجِ المُهلِك، وأصلُ (صيح): يدُلُّ على الصَّوتِ العالي.

كَهَشِيمِ: الهَشيمُ: هو ما يَبِسَ مِنَ الوَرَقِ وتكَسَّرَ وتحطَّمَ، وأصلُ (هشم): يدُلُّ على الكَسرِ.

الْمُحْتَظِرِ: أي: صاحِبِ الحَظيرةِ؛ يُقالُ: احتَظَر على نَعَمِه وحَظَر: إذا جَمَع الشَّجَرَ ووَضَع بَعضَه فوقَ بَعضٍ؛ لِيَمنَعَ بَرْدَ الرِّيحِ عن النَّعَمِ، وأصلُ (حظر): يدُلُّ على المَنعِ.

تفسير الآيات:

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ (23).

أي: كذَّبت قَبيلةُ ثَمُودَ –قَومِ صالِحٍ– بما جاءَهم مِنَ اللهِ مِن النُّذرِ الَّتي تُنذِرُهم عَذابَه!

فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (24).

فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ.

أي: فقال كُفَّارُ ثَمُودَ: هو آدَميٌّ مِثلُنا، ورَجُلٌ واحِدٌ فحَسْبُ، فكيف نتَّبِعُه؟

إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ.

أي: إنَّا إنِ اتَّبَعْناه لَفي ذَهابٍ عن الحقِّ والصَّوابِ، وفي شَقاءٍ وعَذابٍ![22]

أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ (25).

أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا.

أي: وقالوا: أأُنزِلَ الوَحيُ على هذا الرَّجُلِ فاختُصَّ بالنُّبُوَّةِ مِن بَيْنِنا؟! كيف يكونُ ذلك؟ وأيُّ مَزِيَّةٍ له علينا حتَّى يَستَحِقَّ ذلك؟!

---

(22) ذكر ابن عطية (٨/ ١٤٨) قولًا بأنّ السُّعر: هو الجنون.
وعلَّق عليه بقوله: «ومنه قولهم: ناقة بمعنى مسعورة، إذا كانت تفرط في سيرها».

بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ.

أي: وقالوا: لَمْ يختَصَّ اللهُ صالِحًا بالوَحيِ والنُّبُوَّةِ، وإنَّما هو امرُؤٌ كَذَّابٌ، كَثيرُ المَرَحِ والتَّجَبُّرِ والتَّكبُّرِ، فهو مُعجَبٌ بنَفْسِه، مُدَّعٍ ما ليس له!

سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ (26).

أي: قال اللهُ تعالى: سيَعلَمونَ قَريبًا حينَ يأتيهم العَذابُ: مَنِ الكَذَّابُ، الكَثيرُ المَرَحِ والتَّجَبُّرِ والتكَبُّرِ: أصالِحٌ أم قَومُه؟!

إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ (27).

إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ.

أي: إنَّا باعِثُو النَّاقةِ؛ اختِبارًا وامتِحانًا لِثَمودَ؛ فإمَّا أن يُؤمِنوا باللهِ ويتَّبِعوا نَبيَّه صالِحًا، أو يُكَذِّبوه ويَكفُروا باللهِ تعالى.

كما قال الله تبارك وتعالى: قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [الأعراف: 73].

وقال سُبحانَه: وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ [هود: 64].

وقال عزَّ وجلَّ: وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا [الإسراء: 59].

فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ.

أي: فترَقَّبْ –يا صالِحُ– وانظُرْ ما يَحصُلُ لهم مِنَ الفِتنةِ عندَ ظُهورِ النَّاقةِ، وما هم صانِعوه فيها، واصبِرْ عليهم صَبرًا قَويًّا بالِغًا.

وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ (28).

وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ.

أي: وأخبِرْهم أنَّ ماءَ القَريةِ مَقسومٌ بَيْنَهم وبيْنَ النَّاقةِ؛ فلَها يَومٌ تَشرَبُ فيه مِن ذلك الماءِ، ولهم يومٌ يَشرَبونَ فيه مِنه.

كما قال تعالى: قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ [الشعراء: 155].

كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ.

أي: إذا كان يومُ النَّاقةِ حَضَرت نصيبَها مِن الماءِ، وإذا كان يومُ ثَمودَ حَضَروا نصيبَهم مِن الماءِ.

فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ (29).

فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ.

أي: فنادى كُفَّارُ ثَمودَ صاحِبَهم وأشقاهم لِعَقرِ النَّاقةِ.

كما قال تعالى: إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا [الشمس: 12].

فَتَعَاطَى فَعَقَرَ.

أي: فباشَرَ قَتْلَها بنَفْسِه.

فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (30).

أي: فكيف كان عَذابي لِثَمودَ على كُفرِهم؟ وكيف كان إنذاري بتلك العُقوبةِ للكُفَّارِ مِن غَيرِهم؛ لِيَحذَروا أن يَحُلَّ بهم العَذابُ؟

ثُمَّ بَيَّن الله تعالى ما أجْمَله مِن العذابِ، فقالَ:

إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ (31).

إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً.

أي: إنَّا أرسَلْنا على ثمودَ صيحةً واحِدةً عَظيمةً، فأهلَكْتُهم!

كما قال تعالى: وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ [هود: 67].

وقال سُبحانَه: فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ [الحجر: 83].

فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ.

أي: فصاروا كحُطامِ النَّباتِ وما تكَسَّرَ مِنَ الشَّجَرِ اليابِسِ الَّذي يجمعُه مَن يصنعُ الحظيرةَ.(23)

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (32).

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ.

أي: ولقد سهَّلْنا القُرآنَ للتَّذَكُّرِ به، وحُصولِ الفَهمِ والاتِّعاظِ به.

فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ.

أي: فهل مِن مُتذَكِّرٍ؛ فيَتَّعِظَ ويَعتَبِرَ بما في القُرآنِ؟

---

(23) اختُلف في المراد بقوله: ﴿كهشيم المحتظر﴾ على أقوال: الأول: أنه الزرع اليابس.
ونسبه ابنُ كثير (١٣/ ٣٠٠ – ٣٠١) للسُّدّيّ، وجمع من المفسرين.
الثاني: أنه التراب الذي يتناثر من الحائط.
الثالث: حظيرة الراعي للغنم.
الرابع: هشيم الخيمة، وما تكسَّر من خشبها.
الخامس: الورق الذي يتناثر من خشب الحطب.
السادس: أنه حشيش قد حظرته الغنم فأكلته.
السابع: أنه العظام المحترقة.
ورجَّح ابنُ كثير (١٣/ ٣٠١) القول الأول فقال: «والأول أقوى».
ولم يذكر مستندًا.

سُورةُ القَمَرِ

الآيات (33–40)

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (33) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ (34)
نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ (35) وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ (36)
وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (37) وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً
عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ (38) فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (39) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ
(40)

غريب الكلمات:

حَاصِبًا: أي: حِجارةً، أو: ريحًا عاصِفًا تَرمي بالحَصْباءِ، وهي الحَصَى، وأصلُ (حصب): يدُلُّ على الرَّميِ.

بِسَحَرٍ: السَّحَرُ: آخِرُ اللَّيلِ، وأصلُه: يدُلُّ على وَقتٍ مِن الأوقاتِ.

بَطْشَتَنَا: أي: عُقوبتَنا، وأخْذَنا إيَّاهم بالعَذابِ، وأصلُ (بطش): يدُلُّ على أخْذِ الشَّيءِ بقَهرٍ وغَلَبةٍ.

فَتَمَارَوْا: أي: شَكُّوا وكَذَّبوا، والمِرْيَةُ: التَّردُّدُ في الأمرِ، وهو أخصُّ مِن الشَّكِّ.

رَاوَدُوهُ: أي: أرادوا منه تَمكينَهم مِن ضُيوفِه، والمُراوَدةُ: مُفاعَلةٌ مِن راد يَرودُ: إذا جاء وذَهبَ، وأصلُ (رود): يدُلُّ على مجيءٍ وذَهابٍ.

فَطَمَسْنَا: أي: محَوْنا وأعمَيْنا، والطَّمسُ: إزالةُ الأثَرِ بالمَحْوِ، وأصلُ (طمس): يدُلُّ على محوِ الشَّيءِ ومَسْحِه.

صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً: أي: جاءَهم وقْتَ الصُّبحِ، يُقالُ: صَبَحْتُ فُلانًا وصَبَّحْتُه: إذا أتَيْتَه صَباحًا، وأصلُ (بكر): يدُلُّ على أوَّلِ الشَّيءِ وبَدئِه.

تفسير الآيات:

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (33).

أي: كذَّبتْ قَومُ لُوطٍ بما جاءَهم مِنَ اللهِ مِن النُّذرِ الَّتي تُنذِرُهم عَذابَه.(24)

قال تعالى: وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ * أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ [العنكبوت: 28، 29].

وقال سُبحانَه: كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ [الشعراء: 160].

إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ (34).

إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا.

أي: إنَّا أرسَلْنا على قَومِ لُوطٍ حِجارةً أُمطِرَتْ عليهم؛ لإهلاكِهم.

إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ.

أي: إلَّا لوطًا ومَن تبِعه على دينِه وآمَن به؛ فإنَّا نَجَّيْناهم مِنَ العَذابِ وَقتَ السَّحَرِ في آخِرِ اللَّيلِ.

(24) ذكر ابنُ عطية (٨/ ١٥١ – ١٥٢) أنّ النُّذُر جمع نذير، وهو المصـــدر، ثم قال: «ويحتمل أن يراد بالنّذر هنا وفي قوله: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ﴾ جمع نذير، الذي هو اسم الفاعل».

كما قال تعالى: فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ [هود: 81].

نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ (35).

نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا.

أي: إنعامًا مِنَّا عليهم، وكَرامةً لهم مِن عِندِنا!

كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ.

أي: كما أنجَيْنا لُوطًا وآلَه مِنَ العَذابِ؛ بسَبَبِ طاعتِهم للهِ تعالى- نُنْجِي أيضًا كُلَّ مَن شَكَرَنا على ما أنعَمْنا عليه مِنَ النِّعَمِ، فآمَنَ باللهِ وأطاعَه.

وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ (36).

أي: ولقد خوَّف لُوطٌ قَومَه، وحَذَّرهم مِن أخْذَتِنا الشَّديدةِ قبْلَ حُصولِها، فشَكُّوا في إنذاراتِه، وكذَّبوا بها.

وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (37).

وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ.

أي: ولقد طَلَب قومُ لُوطٍ منه تمكينَهم مِن فِعلِ الفاحِشةِ بضُيوفِه، وألَحُّوا في طَلَبِهم مِرارًا، فطَمَسْنا أعيُنَهم، فصارت كسائرِ الوَجهِ بلا شَقٍّ، فلم يُبصِروا!

كما قال تعالى: وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ * قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ * قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ [هود: 78 – 80].

وقال سُبحانَه: وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ * قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ * وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ * قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ * قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ [الحجر: 67 – 71].

فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ.

أي: فذُوقوا –يا مَعشَرَ قَومِ لُوطٍ– عَذابِي الَّذي حلَّ بكم، وعاقِبةَ إنذاراتي الَّتي أُنذِرْتُم بها!(25)

وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ (38).

أي: ولقد صبَّحَ قَومَ لوطٍ أوَّلَ النَّهارِ عَذابٌ ثابِتٌ لا يَنقَطِعُ عنهم.

---

(25) ذكر ابنُ عطية (٨/ ١٥٢) أنّ قوله: ﴿فذوقوا عذابي﴾ يحتمل أن يكون من قول الله، ويحتمل أن يكون من قول الملائكة.

قال تعالى: فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ [هود: 82، 83].

وقال سُبحانَه: فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ * فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ [الحجر: 73، 74].

فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (39).

أي: فذُوقوا –يا مَعشَرَ قَومِ لُوطٍ– عَذابي الَّذي حَلَّ بكم، وعاقِبةَ إنذاراتي الَّتي أُنذِرْتُم بها.

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (40).

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ.

أي: ولقد سهَّلْنا القُرآنَ للتَّذكُّرِ به، وحُصولِ الفَهمِ والاتِّعاظِ به.

فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ.

أي: فهل مِن مُتذَكِّرٍ؛ فيتَّعِظَ ويَعتَبِرَ بما في القُرآنِ الكريمِ؟

سُورةُ القَمَرِ

الآيات (41–46)

وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ (41) كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ (42)
أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ (43) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ (44)
سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (45) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ (46)

غريب الكلمات:

الزُّبُرِ: أي: الكُتُبِ، جَمْعُ زَبورٍ، وأصلُ (زبر) هنا: يدُلُّ على قِراءةٍ وكتابةٍ.

وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ: أي: يَنهَزِمونَ فيُوَلُّونكم أدبارَهم، يُقالُ: ولَّاه دُبُرَه: إذا انهزَم. والتَّولِّي: الإعراضُ بعدَ الإقبالِ. والإدبارُ: الذَّهابُ إلى جِهةِ الخَلفِ، وأصلُ (دبر): يدُلُّ على خِلافِ القُبُلِ.

أَدْهَى: أي: أشدُّ وأفظَعُ، وهو «أفعَلُ»، مِنَ الدَّاهيةِ: وهي الرَّزِيَّةُ العُظمى تَنزِلُ بالمَرءِ، وأصلُ (دهي): يدُلُّ على الإصابةِ بما يَسوءُ.

وَأَمَرُّ: أي: أشَدُّ مَرارةً؛ مِن قَولِهم: مَرَّ الشَّيءُ وأمَرَّ: إذا اشتَدَّت مَرارتُه، وأصلُ (مرر) هنا: يدُلُّ على خِلافِ الحلاوةِ والطِّيبِ.

تفسير الآيات:

وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ (41).

أي: ولقد جاء فِرعَونَ وآلَه النُّذرُ الَّتي تُنذِرُهم عذابَ اللهِ تعالى.(26)

كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ (42).

كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا.

أي: كذَّبَ فِرعَونُ وآلُه بجَميعِ آياتِ اللهِ تعالى،(27) الدَّالَّةِ على الحَقِّ.

كما قال تعالى: وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى [طه: 56].

وقال سُبحانَه: فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ [الأعراف: 133].

---

(26) ذكر ابنُ عطية (٨/ ١٥٢) أنّ ﴿آل فرعون﴾: قومه وأتباعه.

ثم أورد احتمالًا آخر فقال: «ويحتمل أن يريد بـ ﴿آل فرعون﴾: قرابته على عُرف الآل».

(27) ذكر ابن عطية (٨/ ١٥٢ – ١٥٣) أنّ قوله: ﴿كذبوا بآياتنا كلها﴾ يحتمل احتمالين: الأول: أن يريد آل فرعون المذكورين أخذناهم كذلك، يريدهم بالضمير؛ لأن ذلك الإغراق الذي كان في البحر كان بالعزّة والقدرة، ويكون قوله: ﴿بآياتنا﴾ يريد بها التسع، ثم أكّد بقوله: ﴿كلها﴾.

الثاني: أن يكون قوله: ﴿ولقد جاء آل فرعون النذر﴾ كلامًا تامًّا، ثم يكون قوله: ﴿كذبوا بآياتنا كلها﴾ يعود الضمير في ﴿كذبوا﴾ على جميع مَن ذكر من الأمم، ويجيء جميع الآيات مستقيمًا، ويجيء قوله تعالى: ﴿فأخذناهم﴾ كذلك يعود على جميع الأمم المذكورة.

فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ.

أي: فأخَذْناهم أخْذَ مَنْ هو شديدٌ قويٌّ؛ فلا يُغلَبُ، بالِغُ القُدرةِ؛ فلا يَعجِزُ عمَّا يُريدُ!

قال تعالى: فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ [الذاريات: 40].

أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ (43).

أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ.

أي: أكُفَّارُكم -يا مَعشَرَ قُرَيشٍ- خَيرٌ مِن أولئك الَّذين أهلَكْتُهم لكُفرِهم وتَكذيبِهم، مِثلُ: قَومِ نُوحٍ، وعادٍ، وثمودَ، وقَومِ لُوطٍ، وآلِ فِرعَونَ؟ كلَّا! ليسوا خَيرًا منهم؛ فلْتَحذَروا مِن عِقابِ اللهِ إنْ أصرَرْتُم على كُفرِكم وتَكذيبِكم.

كما قال الله تبارك وتعالى: فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ [الزخرف: 8].

وقال سُبحانَه: أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ [الدخان: 37].

أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ.

أي: أم لكم -يا كُفَّارَ قُرَيشٍ- بَراءةٌ مَكتوبةٌ في صَحائِفِ الكُتُبِ الإلهيَّةِ السَّابِقةِ؛ فأنتم بَريئُونَ مِن عاقبةِ كُفرِكم وتكذيبِكم، وآمِنونَ مِن عذابِ رَبِّكم؟!

أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ (44).

أي: أم يقولُ كُفَّارُ قُرَيشٍ: نحنُ جماعةٌ كثيرةٌ مُنتَصِرونَ، فسنغلِبُ مُحَمَّدًا ومَن معه؟!

سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (45).

أي: سيُهزَمُ جَمعُ كُفَّارِ قُرَيشٍ، ويتفرَّقونَ، ويَفِرُّونَ عن المُسلِمينَ مُدبِرينَ![28]

قال تعالى: قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ * قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ [آل عمران: 12، 13].

وعن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: قال النَّبيُّ - ﷺ - وهو في قُبَّةٍ: ((اللَّهُمَّ إنِّي أَنشُدُك[29] عَهْدَك ووَعْدَك، اللَّهُمَّ إنْ شِئْتَ لم تُعبَدْ بعدَ اليَومِ! فأخَذ أبو بكرٍ بيَدِه، فقال: حَسْبُك يا رَسولَ اللهِ؛ فقد

(28) اختُلف في نزول هذه الآية على قولين: الأول: أنها مكية.

الثاني: أنها نَزَلَتْ يوم بدر.

وذكر ابنُ عطية (٨/ ١٥٣) أنه على القول الأول فالرسول إنما كان مستشهدًا بهذه الآية يوم بدر حين تلاها.

وانتقد الثاني الذي قاله ابن عباس من طريق علي بن أبي داود، وعكرمة، ورجَّح الأول، فقال: «وهذا ضعيف، والصواب أنّ الوعد أنجز يوم بدر».

ولم يذكر مستندًا.

(29) أَنشُدُك: أي: أطلُبُك وأسألُك.

يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (3781/9).

أَلحَحْتَ على رَبِّك -وهو في الدِّرْعِ-، فخَرَج وهو يقولُ: سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ * بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ [القمر: 45، 46]))[30].

بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ (46).

بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ.

أي: ليس الأمرُ كما يَزعُمُ المُشرِكونَ، فهم حَتمًا سيُبعَثونَ بعدَ مَوتِهم، ويُجازَونَ بعُقوبةٍ تامَّةٍ على كُفرِهم؛ فالسَّاعةُ مَوعِدُ عَذابِهم الأصليّ، وما يَحيقُ بهم في الدُّنيا فمِن طَلائِعِه.

عن عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عنها، قالت: (لقد أُنزِلَ على محمَّدٍ - ﷺ - بمكَّةَ، وإنِّي لجَاريةٌ ألعَبُ: بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ).

وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ.

أي: والسَّاعةُ أشدُّ فَظاعةً وفَتْكًا، وأكثَرُ ألَمًا ومَرارةً مِنَ القَتلِ أو غَيرِه مِمَّا يُصيبُهم مِن عَذابِ الدُّنيا!

(30) رواه البخاري (2915).

سُورةُ القَمَرِ

الآيات (47–55)

إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (47) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ
(48) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (49) وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (50) وَلَقَدْ
أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (51) وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (52) وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ
مُسْتَطَرٌ (53) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (54) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ(55)

غريب الكلمات:

مَسَّ: أي: إصابةَ وألَمَ، وأصلُ (مسس): يدُلُّ على جَسِّ الشَّيءِ باليَدِ.

سَقَرَ: أي: جَهنَّمَ، وهي عَلَمٌ مُشتَقٌّ مِنَ السَّقْرِ: وهو التِهابُ النَّارِ، وأصلُ (سقر): يدُلُّ على إحراقٍ.

بِقَدَرٍ: أي: بقَضاءٍ مَعلومٍ سابِقٍ في الأزَلِ، وبتَقديرٍ وحِكمةٍ، أو: بمِقدارٍ قدَّرْناه وقضَيْناه، وأصلُ (قدر): يدُلُّ على مَبلَغِ الشَّيءِ وكُنْهِه ونِهايتِه.

كَلَمْحٍ: أي: كخَطْفةٍ، واللَّمحُ: النَّظرُ بسُرعةٍ، وأصلُ ذلك مِن لَمَحْتُ البَرقَ، أي: أبصرتُ لَمعانَه، وهو أسرَعُ الأشياءِ زَوالًا.

أَشْيَاعَكُمْ: أي: أشباهَكم ونُظراءَكم في الكُفرِ مِنَ الأُمَمِ الماضيةِ، وأصلُ (شيع): يدُلُّ على مُعاضَدةٍ.

مُسْتَطَرٌ: أي: مَكتوبٌ مَسطورٌ، وأصلُ (سطر): يدُلُّ على الاصطفافِ.

وَنَهَرٍ: أي: أنهارٍ، وحَّدَ وأراد الجَمْعَ، والنَّهْرُ: مَجرى الماءِ؛ وسُمِّيَ نَهرًا لأنَّه يَنهَرُ الأرضَ، أي: يَشُقُّها، وأصلُه يدُلُّ على تفتُّحِ شَيءٍ أو فَتْحِه.

تفسير الآيات:

إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (47).

أي: إنَّ المُشركِينَ[31] في ضَلالٍ، وفي عَناءٍ وشَقاءٍ وعَذابٍ.

يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (48).

يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ.

أي: يومَ يُجَرُّ أولئك المُجرِمونَ في النَّارِ على وُجوهِهم الَّتي هي أشرَفُ أعضائِهم الظَّاهِرةِ، فيُهانونَ بذلك ويُخْزَونَ!

ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ.

أي: يُقالُ لهم: ذُوقوا ألَمَ النَّارِ وعَذابَها.

قال تعالى: سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ * لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ * لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ * عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ [المدثر: 26 – 30].

---

(31) ذكر ابن عطية (٨/ ١٥٤) أنّ أكثر المفسرين على أنّ المجرمين هنا يراد بهم الكفار.
ثم ساق القول بأن المراد بهم: القدرية الذين يقولون: إنّ أفعال العباد ليست بقَدَر من الله.
وعلّق عليه بقوله: «وهم المتوعَّدون بالسحب في جهنم».

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (49)﴾.

سَبَبُ النُّزولِ:

عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((جاء مُشرِكو قُرَيشٍ يُخاصِمونَ رَسولَ اللهِ - ﷺ - في القَدَرِ، فنَزَلَت: يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ * إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ)).[32]

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (49)﴾.

أي: إنَّا خَلَقْنا كُلَّ شَيءٍ بقَضاءٍ سابِقٍ مَضبوطٍ مُحكَمٍ.

عن عبدِ اللهِ بنِ عَمرِو بنِ العاصِ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: سَمِعتُ رَسولَ اللهِ - ﷺ - يقولُ: ((كَتَبَ اللهُ مَقاديرَ الخَلائِقِ قَبْلَ أن يَخلُقَ السَّمَواتِ والأرضَ بخَمسينَ ألْفَ سَنةٍ، وعَرشُه على الماءِ)).[33]

وعن طاوسٍ، قال: أدرَكْتُ ناسًا مِن أصحابِ رَسولِ اللهِ - ﷺ - يقولونَ: كُلُّ شَيءٍ بقَدَرٍ، قال: وسَمِعتُ عبدَ اللهِ بنَ عُمَرَ يَقولُ: قال رَسولُ اللهِ - ﷺ -: ((كُلُّ شَيءٍ بقَدَرٍ، حتَّى العَجْزُ والكَيْسُ))[34]. [35]

---

(32) رواه مسلم (2656).

(33) رواه مسلم (2653).

(34) الكَيْسُ: ضِدُّ العَجْزِ، وهو النَّشاطُ والحِذقُ بالأمورِ، ومعناه: أنَّ العاجزَ قد قُدِّر عَجْزُه، والكَيِّسَ قد قُدِّر كَيْسُه.
يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (205/16).

(35) رواه مسلم (2655).

وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (50).

أي: وما أمْرُنا إذا أرَدْنا شَيئًا إلَّا أن نَقولَ له مَرَّةً واحِدةً: كُنْ، فيُوجَدُ ما أرَدْناه كسُرعةِ اللَّمْحِ بالبَصَرِ بلا تأخيرٍ!

قال تعالى: إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ [يس: 82].

وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (51).

وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ.

أي: ولقد أهلَكْنا أشباهَكم وأمثالَكم في الكُفرِ -يا مَعشَرَ قُرَيشٍ- مِنَ الأُمَمِ الماضيةِ الَّتي كفَرَت باللهِ، وكَذَّبت رُسُلَها.

قال الله تبارك وتعالى: وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ [سبأ: 54].

فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ.

أي: فهل مِن مُتذكِّرٍ يَعلَمُ أنَّ سُنَّةَ اللهِ في الأوَّلينَ والآخِرينَ واحِدةٌ، ويتَّعِظُ ويَعتَبِرُ بإهلاكِ اللهِ للكُفَّارِ السَّابِقينَ، فيَحذَرَ أن يكونَ مِثْلَهم؟!

كما قال تعالى: أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ * ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ * كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ [المرسلات: 16 - 18].

وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (52).

أي: وكُلُّ شَيءٍ فَعَلوه موجودٌ في الصَّحائِفِ والدَّواوينِ الَّتي تُحصِي الحَفَظةُ مِنَ الملائكةِ أعمالَهم فيها.

كما قال تعالى: أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ [الحج: 70].

وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ (53).

أي: وكُلُّ صَغيرٍ وكَبيرٍ مِنَ الأشياءِ مَكتوبٌ مَسطورٌ.

كما قال تعالى: وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ [يونس: 61].

وقال سُبحانَه: وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ [هود: 6].

وقال عزَّ وجلَّ: وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا [الكهف: 49].

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (54).

أي: إنَّ الَّذين اتَّقوا سَخَطَ اللهِ وعَذابَه بامتِثالِ أوامِرِه، واجتِنابِ نَواهيه- في جَنَّاتٍ وأنهارٍ جاريةٍ فيها.

فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ (55).

فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ.

أي: في مَجلِسِ حَقٍّ، ثابتٍ لا يَزولُ، كامِلٍ في نَعيمِه، لا باطِلَ فيه ولا لَغْوَ ولا آثامَ.[36]

عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ.

أي: عِندَ مَلِكٍ عَظيمٍ تامِّ المُلْكِ، بالِغِ القُدرةِ على كلِّ شَيءٍ، وهو اللهُ سُبحانَه وتعالى!

(36) ذكر ابنُ عطية (٨/ ١٥٧) أنّ قوله تعالى: ﴿مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ يحتمل احتمالين: الأول: أن يريد به: الصّدق الذي هو ضد الكذب، أي: في المقعد الذي صدقوا في الخبر به.

الثاني: أن يكون من قولك: «عُود صدْق» أي: جيد، «ورجل صدق» أي: خيّر، وذو خِلال حسان.

تَفْسِيرُ
سُورَةِ الرَّحْمنِ

سُورةُ الرَّحْمنِ

سورةُ الرَّحْمنِ

سُمِّيت هذه السُّورةُ بسُورةِ (الرَّحمنِ)؛[37] فعنِ ابنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((أقرَأَني رَسولُ اللهِ – ﷺ – سورةَ الرَّحمنِ)).[38]

(37) وَجهُ تَسميةِ هذه السُّورةِ بسُورةِ الرَّحمنِ أنَّها ابتُدِئَت باسمِه تعالى: الرَّحْمَنُ.
يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (227/27).

(38) أخرجه ابنُ حِبَّانَ (747) مُطوَّلًا.
صحَّحه ابنُ حِبَّان، وحَسَّن إسنادَه شعيبٌ الأرناؤوط في تخريج ((صحيح ابن حبان)) (747).

سورةُ الرَّحمنِ مَكِّيَّةٌ،(39) وحُكِيَ الإجماعُ على ذلك.(40)

مِن أهَمِّ مقاصِدِ السُّورةِ:

التَّذكيرُ بعَظَمةِ اللهِ تعالى، وبيانُ جانِبٍ مِن نِعَمِه على خَلْقِه في الدُّنيا والآخِرةِ، والإنكارُ على مَن أخَلَّ بمُوجَبِ شُكْرِها.

مِن أهمِّ الموضوعاتِ الَّتي اشتَمَلَتْ عليها السُّورةُ:

1- البَدءُ بالثَّناءِ على اللهِ تعالى، والمِنَّةِ على الخَلْقِ بتعليمِ القُرآنِ.

2- بيانُ جانِبٍ مِن مَظاهِرِ قُدرةِ اللهِ تعالى، ونِعَمِه على خَلْقِه.

---

(39) قال ابنُ عاشور: (وهي [أي: سُورةُ الرَّحمنِ] مَكِّيَّةٌ في قَولِ جُمهورِ الصَّحابةِ والتَّابِعينَ). ((تفسير ابن عاشور)) (228/27).

وقيل: السُّورةُ مَكِّيَّةٌ إلَّا آيةً واحِدةً، وهي قَولُه تعالى: يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ [الرحمن: 29]؛ فمَدَنيَّةٌ.

وقيل: بَعضُها مَكِّيٌّ وبَعضُها مَدَنيٌّ.

وقيل: السُّورةُ مَدَنيَّةٌ.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (168/22)، ((تفسير الماوردي)) (422/5)، ((تفسير الزمخشري)) (442/4)، ((تفسير البيضاوي)) (5/ 170).

رجّح ابنُ عطية (٣/ ١٥٨) مستندًا إلى دلالة التاريخ أنّ السورة مكية، ثم قال: «وإنما نَزَلَتْ حين قالت قريش بمكة: وما الرحمن؟ أنسجد لما تأمرنا؟ وفي السيرة أنّ ابن مسعود جهر بقراءتها في المسجد، حتى قامت إليه أندية قريش، فضربوه، وذلك قبل الهجرة».

(40) ممَّن نقَل الإجماعَ على أنَّها مَكِّيَّةٌ: الفيروزابادي.

يُنظر: ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (447/1).

3- التَّذكيرُ بفَناءِ كُلِّ مَن على ظَهرِ الأرضِ، وأنَّ الباقيَ هو وَجهُ اللهِ تعالى وَحْدَه.

4- تحَدّي الجِنّ والإنسِ أن يَنفُذُوا مِن أقطارِ السَّمَواتِ والأرضِ.

5- بيانُ أهوالِ القيامةِ، وسُوءِ عاقِبةِ المكَذِّبينَ، وحُسنِ عاقِبةِ المؤمِنينَ؛ ووَصفُ ما أعَدَّه اللهُ لهم مِنَ النَّعيمِ.

6- خُتِمَت السُّورةُ بتَعظيمِ اللهِ والثَّناءِ عليه.

سورةُ الرَّحْمنِ

الآيات (1–9)

الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4) الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ

(5) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (6) وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (7) أَلَّا تَطْغَوْا فِي

الْمِيزَانِ (8) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (9)

غريب الكلمات:

الْبَيَانَ: أي: النُّطقَ والتَّمييزَ، والفَهمَ والإبانةَ، وأصلُ (بين): يدُلُّ على الانكِشافِ والظُّهورِ.

بِحُسْبَانٍ: أي: بحِسابٍ، ومَنازِلَ لا تَعْدوها الشَّمسُ ولا القمرُ، ولا يَحيدان عنها، وأصلُ (حسب): يدُلُّ على عَدَدٍ.

وَالنَّجْمُ: يُطلَقُ النَّجمُ على النبَّتِ على الأرضِ ليس له ساقٌ، وسُمِّيَ نَجمًا لأنَّه نَجَمَ، أي: ظَهَر وطَلَع. ويُطلَقُ على الكَوكَبِ، وهو اسمُ الجِنسِ مِن نُجومِ السَّماءِ. وأصلُ (نجم): يدُلُّ على طُلوعٍ وظُهورٍ.

تَطْغَوْا: أي: تُجاوِزوا العَدْلَ، وأصلُ الطُّغيانِ: مُجاوَزةُ الحَدّ.

تفسير الآيات:

الرَّحْمَنُ (1).

أي: اللهُ: الواسِعُ الرَّحمةِ، المُنعِمُ على عبادِه بالنِّعَمِ الكَثيرةِ في دِينِهم ودُنياهم وأُخراهم.

كما قال تعالى: وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ [الأعراف: 156].

وقال سُبحانَه حاكيًا دُعاءَ مَلائِكتِه: رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا [غافر: 7].

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، عن النَّبيِّ – ﷺ – قال: ((إنَّ للهِ مِئةَ رَحمةٍ، أنزَلَ منها رَحمةً واحِدةً بيْنَ الجِنِّ والإنسِ والبهائِمِ والهَوامِّ، فبها يَتعاطَفونَ، وبها يَتراحَمونَ، وبها تَعطِفُ الوَحشُ على وَلَدِها، وأخَّرَ اللهُ تِسعًا وتِسعينَ رَحمةً، يَرحَمُ بها عِبادَه يومَ القيامةِ)).[41]

عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2).

أي: علَّم الرَّحمنُ –سُبحانَه– عِبادَه ألفاظَ القُرآنِ ومَعانيَه، ويَسَّرَها لهم.

كما قال تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ * قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ [يونس: 57، 58].

وقال سُبحانَه: وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ [القمر: 17].

وعن عُثمانَ بنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عنه، عن النَّبيِّ – ﷺ – قال: ((خَيْرُكم مَن تَعلَّمَ القُرآنَ وعَلَّمَه)).[42]

خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3).

أي: خَلَق الرَّحمنُ آدَمَ وذُرِّيَّتَه.

كما قال تعالى: خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ [النحل: 4].

(41) رواه البخاري (6000)، ومسلم (2752) واللَّفظُ له.
(42) رواه البخاري (5027).

وقال الله سُبحانه وتعالى: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ [المؤمنون: 12 – 14].

عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4).

أي: علَّم الرَّحمنُ الإنسانَ[43] النُّطقَ والفَهمَ، والإبانةَ عَمَّا في نَفْسِه بالكَلامِ.

---

(43) في المراد بالإنسان ثلاثة أقوال: الأول: أنّ المراد به: جميع الناس.

الثاني: أنّ المراد به: آدم.

الثالث: أنّ المراد به: محمد – ﷺ –.

ولم يذكر ابنُ جرير (٢٢/ ١٦٩) سوى القولين الأولين، ثم بيّن احتمال الكلام لهما جميعًا، فقال: «والقولان كلاهما غير بعيدين من الصواب؛ لاحتمال ظاهر الكلام إياهما».

وانتقد ابنُ عطية (٨/ ١٥٩) –مستندًا لعدم الدليل– القول الثاني والثالث بقوله: «وهذا التخصيص لا دليل عليه».

في قوله: ﴿علمه البيان﴾ قولان: الأول: أنه بيان الحرام والحلال.

الثاني: أنه الكلام والمنطق.

وقد ذكر ابنُ جرير (٢٢/ ١٧٠) القولين، ثم رجّح العموم، فقال: «والصواب من القول في ذلك أن يقال: معنى ذلك: أنّ الله علّم الإنسان ما به الحاجة إليه مِن أمر دينه ودنياه مِن الحلال والحرام، والمعايش والمنطق، وغير ذلك مما به الحاجة إليه؛ لأن الله –جلّ ثناؤه– لم يخصص بخبره ذلك أنه علّمه مِن البيان بعضًا دون بعض، بل عمّ فقال: ﴿علمه البيان﴾، فهو كما عمّ –جلّ ثناؤه–».

وذكر ابنُ عطية (٨/ ١٥٩) القول الأول، ووجّهه عليه بقوله: «وهذا جزء من البيان العام».

وعلّق على القول الثاني بقوله: «وذلك هو الذي فُضِّل به الإنسانُ من بين سائر الحيوان».

ثم ذكر أنّ: «كلّ المعلومات داخلة في البيان الذي علّمه الإنسان، فكأنه قال من ذلك البيان، وفيه معتبر».

ورجّح ابنُ كثير (١٣/ ٣١٣ – ٣١٤) مستندًا إلى السياق القول الثاني، وعلّل ذلك بقوله: «لأنّ السياق في تعليمه تعالى القرآن، وهو أداء تلاوته، وإنما يكون ذلك بتيسير النطق على الخلْق، وتسهيل خروج الحروف من مواضعها من الحلْق واللسان والشّفتين، على اختلاف مخارجها وأنواعها».

كما قال تعالى: وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ [النحل: 78].

الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (5).

أي: الشَّمسُ والقَمَرُ يَجريانِ بِحسابٍ دَقيقٍ مُتقَنٍ لا يَختَلِفُ ولا يَضطَرِبُ، ولا يُجاوِزانِ مَنازِلَهما، ولا يتأخَّرانِ في جَرَيانِهما، فيَحسِبُ النَّاسُ بهما السِّنينَ والشُّهورَ والأيَّامَ والأوقات.(44)

كما قال تعالى: فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ [الأنعام: 96].

وقال سُبحانَه: هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ [يونس: 5].

---

(44) في قوله: ﴿الشمس والقمر بحسبان﴾ أقوال: الأول: أنهما بحُسْبان، ومنازل لهما يجريان ولا يعدوانها.

الثاني: أنهما يجريان بقدر.

الثالث: أنهما يدوران في مثل قُطب الرّحى.

وقد رجّح ابنُ جرير (٢٢/ ١٧٣) –مستندًا إلى اللغة– القول الأول، فقال: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول مَن قال: معناه: الشمس والقمر يجريان بحساب ومنازل؛ لأنّ الحُسْبان مصدر من قول القائل: حسبته حسابًا وحسبانًا، مثل قولهم: كفرته كفرانًا، وغفرته غفرانًا، وقد قيل: إنه جمع حساب، كما الشهبان: جمع شهاب».

وعلّق ابنُ تيمية (٦/ ١٦٥) على القول الثالث، فقال: «فهذا مما لا خلاف فيه، بل قد دلّ الكتاب والسنة وأجمع علماء الأُمّة على مثل ما عليه أهل المعرفة مِن أهل الحساب من أنّ الأفلاك مستديرة لا مُسطحة».

وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (6).

أي: وجَميعُ النُّجومِ والأشجارِ تَسجُدُ للرَّحمنِ.(45)

كما قال تعالى: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ [الحج: 18].

---

(45) أجمع السلف على أنّ الشجر: ما قام على ساق.

واختلفوا في معنى النّجم على قولين: الأول: النبات الذي لا ساق له مثل البقْل ونحوه.

الثاني: نجم السماء.

ووجّه ابنُ عطية (٥/ ٢٢٤ ط: دار الكتب العلمية) القول الأول، فقال: «وسُمّي نجمًا لأنه نَجَم، أي: ظهر وطلع، وهو مناسب للشّجر نسبة بيّنة».

وعلّق على القول الثاني، فقال: «وقال مجاهد، وقتادة، والحسن: النّجم: اسم الجنس من نجوم السماء، والنسبة التي لها من السماء هي التي للشجر من الأرض؛ لأنهما في ظاهرهما».

وقد رجّح ابنُ جرير (٢٢/ ١٧٥) –مستندًا إلى دلالة السياق– القول الأول، فقال: «وأولى القولين في ذلك بالصواب قول مَن قال: عنى بالنجم: ما نجم من الأرض مِن نَبتٍ.

لعطف الشّجر عليه، فكان بأن يكون معناه لذلك: ما قام على ساق وما لا يقوم على ساق يسجدان لله، بمعنى: أنه تسجد له الأشياء كلّها المختلفة الهيئات من خَلقِه؛ أشبه وأولى بمعنى الكلام من غيره».

ورجّح ابنُ كثير (١٣/ ٣١٤) –مستندًا إلى النظائر– القول الثاني، فقال: «وهذا القول هو الأظهر –والله أعلم–؛ لقوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس﴾ الآية [الحج: ١٨]».

نقل ابنُ عطية (٨/ ١٦٠) عن مجاهد «ما معناه: أنّ السجود في هذا كله تجوُّز، وهو عبارة عن الخضوع والتذلل ونحوه».

واستشهد له ابن عطية ببيت من الشعر:

ترى الأكم فيها سُجّدًا للحوافر.

وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (7).

وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا.

أي: ورفَع الرَّحمنُ السَّماءَ فَوقَ الأرضِ.

قال تعالى: اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا [الرعد: 2].

وَوَضَعَ الْمِيزَانَ.

أي: ووَضَع الرَّحمنُ العَدْلَ بيْنَ خَلْقِه في الأرضِ، والآلةَ الَّتي يُعرَفُ بها العَدلُ.

كما قال تعالى: قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ [الأعراف: 29].

وقال سُبحانَه: لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ [الحديد: 25].

أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (8).

أي: لِئَلَّا تتجاوزوا الحَدَّ فتَجوروا.(46)

---

(46) للسلف في المراد بالميزان قولان: الأول: أنه العدل.
الثاني: أنه الميزان المعروف بين الناس.
وقد وجّه ابنُ عطية (٨/ ١٦١) القول الثاني بقوله: «والميزان المعروف جزء من الميزان الذي يُعبّر به عن العدل».
ثم رجّح أنّ قوله: ﴿وضع الميزان﴾ مراد به: العدل، وأن قوله: ﴿ألا تطغوا في الميزان﴾ وقوله: ﴿ولا تخسروا الميزان﴾ وقوله: ﴿وأقيموا الوزن بالقسط﴾ مراد به: الميزان المعروف، فقال: «ويظهر عندي أن قوله: ﴿وضع الميزان﴾ يريد به: العدل.

وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (9).

وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ.

أي: وأقيموا وَزْنَ الأشياءِ بالعَدلِ التَّامِّ.

كما قال تعالى: وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا [الأنعام: 152].

وقال سُبحانَه: وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا [الإسراء: 35].

وقوله: ﴿ألا تطغوا في الميزان﴾ وقوله: ﴿وأقيموا الوزن﴾ وقوله: ﴿ولا تخسروا الميزان﴾ يريد به: الميزان المعروف».

ولم يذكر مستندًا، ثم علّق بقوله: «وكلّ ما قيل محتمل سائغ».

وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ.

أي: ولا تَنقُصوا الوَزنَ، بل أعطُوا الحُقوقَ كامِلةً وافِيةً.

كما قال شُعَيبٌ عليه السَّلامُ لِقَومِه: وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ [هود: 84].

وقال سُبحانَه: وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ [المطففين: 1 – 6].

سورةُ الرَّحْمنِ

الآيات (10–13)

وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ (10) فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ (11) وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ

وَالرَّيْحَانُ (12) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (13)

غريب الكلمات:

الْأَكْمَامِ: أي: الأَوعيةِ الَّتي يكونُ فيها الثَّمَرُ، واحِدُها «كِمٌّ»: وهو وعاءُ الطَّلعِ قبْلَ أن يَنشَقَّ، وأصلُ (كمم): يدُلُّ على غِطاءٍ.

الْعَصْفِ: أي: تِبنِ الزَّرعِ ووَرَقِه الَّذي تعصِفُه الرِّياحُ، وأصلُ (عصف): يدُلُّ على خِفَّةٍ وسُرعةٍ.

آلَاءِ: الآلاءُ: النِّعَمُ.

تفسير الآيات:

وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ (10).

أي: والأرضَ خفضَها الرَّحمنُ، ووطَّأها لِخَلْقِه.

فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ (11).

فِيهَا فَاكِهَةٌ.

أي: في الأرضِ أنواعُ الفواكِهِ المُختَلِفةِ الألوانِ والطُّعومِ والرَّوائحِ.

كما قال تعالى: فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ [المؤمنون: 19].

وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ.

أي: وفي الأرضِ شَجَرُ النَّخلِ المُغَطَّى ثَمَرُه بالأوعيةِ التي تَنْشَقُّ، فتَخرُجُ منها عُذوقُ التَّمرِ.(47)

---

(47) اختُلف في معنى قوله: ﴿والنخل ذات الأكمام﴾ على أقوال: الأول: أنه عنى بذلك: تكمّم النخل في اللّيف.

الثاني: أنه عنى بالأكمام: الرفات.

الثالث: أنّ معناه: والنخل ذات الطلع المتكمّم في كمامه.

وقد رجّح ابنُ جرير (٢٢/ ١٨٢) العموم، فقال: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يُقال: إنّ الله وصف النخل بأنها ذات أكمام، وهي متكمّمة في ليفها، وطَلْعها متكمّم في جُفّه، ولم يخصّص الله الخبر عنها بتكمّمها في ليفها ولا تكمّم طلعها في جُفّه، بل عمّ الخبر عنها بأنها ذات أكمام، والصواب أن يقال: عنى بذلك ذات لِيف، وهي به مُتكمّمة وذات طَلْع هو في جُفّه متكمم؛ فيعمّم، كما عم -جلّ ثناؤه-».

وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ (12).

وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ.

أي: وفي الأرضِ الحُبوبُ المأكولةُ -كالبُرِّ والشَّعيرِ ونحوِهما- ذواتُ الورقِ اليابسِ، والتِّبنِ.(48)

كما قال الله تبارك وتعالى: وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ [يس: 33].

وَالرَّيْحَانُ.

أي: وفي الأرضِ الرَّيحانُ، وهو النَّبتُ ذو الرَّائِحةِ الجَميلةِ، الَّذي يُشَمُّ لطِيبِ رائِحته.(49)

---

(48) ذهب ابن جرير (٢٢/ ١٨٣) إلى أن معنى: العَصْف هو: الورق الحادث من حَبّ الشعير والبُرّ، والتّبن إذا يبس.

ثم قال: «وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل».

وذكر أقوال السلف على ذلك.

ثم ذكر قول الضَّحّاك: «أنّ معنى العصف هو الحَبّ من البُرّ والشعير بعينه».

ولم يعلق عليه.

(49) في المراد بالريحان أقوال: الأول: أنه الرِّزق.

الثاني: أنه الرّيحان الذي يُشم.

الثالث: أنه ما قام على ساق.

الرابع: أنه خُضرة الزرع.

وعلّق ابنُ عطية (٨/ ١٦٢) على القول الثاني بقوله: «وفي هذا النوع نعمة عظيمة؛ ففيه الأزهار، والمندل، والعقاقير، وغير ذلك».

وقد رجّح ابنُ جرير (٢٢/ ١٨٨) -مستندًا إلى الدلالة العقلية، واللغة- القول الأول، فقال: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول مَن قال: عني به: الرِّزق، وهو الحَبّ الذي يؤكل منه، وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال في ذلك بالصواب لأن الله -جلّ ثناؤه- أخبر عن الحَبّ أنه ذو العَصْف، وذلك ما وصفنا من الورق الحادث منه، والتِّبن إذا يبس، فالذي هو أولى بالرّيحان

عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رَسولُ اللهِ – ﷺ –: ((مَن عُرِضَ عليه رَيحانٌ فلا يَرُدُّه؛[50] فإنَّه خَفيفُ المَحْمِلِ،[51] طَيِّبُ الرِّيحِ)).[52]

القِراءاتُ ذاتُ الأثَرِ في التَّفسيرِ:

1- قِراءةُ: وَالرَّيْحَانَ بفَتحِ النُّونِ، وكذلك بفَتحِ ما قَبْلَها وَالْحَبَّ ذَا الْعَصْفِ، أي: وخَلَق الحبَّ ذا العَصْفِ، والرَّيحانَ الَّذي يُشَمُّ. وقيل: الرَّيحانُ: الرِّزقُ.[53]

أن يكون حَبّه الحادث منه، إذ كان من جنس الشيء الذي منه العَصْف، ومسموع من العرب تقول: خرجنا نطلب ريحان الله ورزقه، ويقال: سبحانك وريحانك، أي: ورزقك، ومنه قول النّمر بن تولب:

سلامُ الإله ورَيحانه وجنّته وسماءٌ دِرر».

ثم قال: «وذُكر عن بعضهم أنه كان يقول: العَصْف: المأكول من الحَبّ.

والرّيحان: الصحيح الذي لم يؤكل».

وقال ابنُ كثير (١٣/ ٣١٦) عقب ذكره الخلاف في هذا: «ومعنى هذا –والله أعلم– أنّ الحَبّ كالقمح والشـــعير ونحوهما له في حال نباته عَصْف، وهو: ما على السُّنبلة، وريحان، وهو: الورق الملتفّ على ساقها».

(50) قال النووي: (فلا يردُّه برفعِ الدَّالِ على الفصيحِ المشهورِ).

((شرح النووي على مسلم)) (9/15).

(51) أي: خفيفُ الحَملِ، ليس بثقيلٍ.

يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (9/15).

(52) رواه مسلم (2253).

(53) قرأ بها ابنُ عامر.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (380/2).

ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((معاني القرآن)) للفرَّاء (114/3)، ((معاني القراءات)) للأزهري (44/3)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 690)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (494/7).

2- قِراءةُ: وَالرَّيْحَانِ بكَسرِ النُّونِ عَطفًا على العَصْفِ، أي: وفيها الحَبُّ ذو العَصْفِ وذو الرَّيحانِ.

فقيل: المرادُ هنا أنَّ العَصْفَ: ما تأكُلُه الأنعامُ، والرَّيحانُ: ما يأكُلُه النَّاسُ مِن نَفسِ الحَبِّ.(54)

3- قِراءةُ: وَالرَّيْحَانُ بضَمِّ النُّونِ عَطفًا على الحَبِّ، أي: وفيها الحَبُّ ذو العَصفِ، وفيها الرَّيحانُ الَّذي يُشَمُّ. وقيل: الرَّيحانُ: الرِّزقُ.(55)

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (13).

أي: فبأيِّ نِعَمِ رَبِّكما تُكَذِّبانِ، يا مَعشَرَ الإنسِ والجِنِّ؟!

كما قال تعالى: فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى [النجم: 55].

---

(54) قرأ بها حمزةُ، والكِسائيُّ، وخَلَفٌ.
يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (380/2).
ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((تفسير ابن جرير)) (188/22، 189)، ((الحجة في القراءات السبع)) لابن خالويه (ص: 338)، ((معاني القراءات)) للأزهري (44/3)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 690، 691)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (494/7).

(55) قرأ بها الباقون.
يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (380/2).
ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((تفسير ابن جرير)) (188/22، 189)، ((الحجة في القراءات السبع)) لابن خالويه (ص: 338)، ((معاني القراءات)) للأزهري (44/3)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 691)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (494/7).

سورةُ الرَّحْمنِ

الآيات (14–18)

خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (14) وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ (15) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (16) رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ (17) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (18)

غريب الكلمات:

صَلْصَالٍ: أي: طينٍ يابسٍ له صَوتٌ وصَلْصَلةٌ، وأصلُ الصَّلصالِ: تردُّدُ الصَّوتِ مِن الشَّيءِ اليابسِ.

كَالْفَخَّارِ: أي: الطِّينِ المَطبوخِ بالنَّارِ، إذا مَسَّه الماءُ فَخَر، أي: رَبَا وعَظُمَ، وهو الخَزَفُ. وأصلُ (فخر): يدُلُّ على عِظَمٍ.

مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ: أي: الصَّافي مِن لَهَبِ النَّارِ الَّذي لا دُخَانَ فيه. وقيل: هو ما اختَلَط بعضُه ببَعضٍ مِنَ اللَّهَبِ الأحمَرِ والأصفَرِ والأخضَرِ الَّذي يعلو النَّارَ إذا أُوقِدَت؛ مِن قَولِهم: مَرَجَ أمرُ القَومِ: إذا اختَلَط، وأصلُ (مرج): يدُلُّ على مجيءٍ وذهابٍ واضطِرابٍ.

تفسير الآيات:

خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (14).

أي: خلَقَ اللهُ آدَمَ[56] أبا البَشَرِ مِن طِينٍ يابسٍ في غايةِ الصَّلابةِ، له صَوتٌ وصَلْصَلةٌ إذا نُقِرَ، كالخَزَفِ، وهو الطِّينُ المطبوخُ بالنَّارِ.

كما قال تعالى: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ [الحجر: 26].

وقال سُبحانَه: وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ [السجدة: 7].

وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ (15).

أي: وخَلَقَ اللهُ الجانَّ مِن لَهَبِ النَّارِ الَّذي لا دُخَانَ له.

قال تعالى: وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ [الحجر: 27].

وعن عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عنها، قالت: قال رَسولُ اللهِ – ﷺ –: ((خُلِقَت الملائِكةُ مِن نُورٍ، وخُلِقَ الجانُّ مِن مارجٍ مِن نارٍ، وخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لكم)).[57]

---

(56) نقل ابنُ عطية (٨/ ١٦٤) في معنى: ﴿الإنسان﴾ عن آخرين قولهم: «أراد: اسم الجنس».
وعلَّق عليه بقوله: «وساغ ذلك مِن حيث إنّ أباهم مخلوق من الصلصال».
(57) رواه مسلم (2996).

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (16).

أي: فبأيِّ نِعَمِ ربِّكما تُكَذِّبانِ، يا مَعشَرَ الإنسِ والجِنِّ؟!

رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ (17).

أي: اللهُ خالِقُ ومالِكُ ومُدَبِّرُ مَشرِقِ الشَّمسِ في الشِّتاءِ والصَّيفِ، ومَغرِبِ الشَّمسِ في الشِّتاءِ والصَّيفِ.(58)

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (18).

أي: فبأيِّ نِعَمِ ربِّكما تُكَذِّبانِ، يا مَعشَرَ الإنسِ والجِنِّ؟!

(58) قال ابنُ عطية (٨/ ١٦٥): «وخصّ ذِكر المشـرقين والمغربين بالتشـريف في إضـافة الرّب إليهما لِعظمهما في المخلوقات، وأنهما طرفا آية عظيمة وعبرة، وهي الشمس وجريها.
وحكى النّقاش: أنّ المشرقين مَشرِقا الشمس والقمر، والمَغربين كذلك على ما في ذلك من العِبر».
وعلّق على ذلك بقوله: «وكلٌّ مُتَّجِه».
ثم علّق قائلًا: «ومتى ذُكر المشرقان والمغربان فهي إشارة إلى نهايتي المشارق والمغارب؛ لأنّ ذِكر نهايتي الشيء ذِكر لجميعه».

سورةُ الرَّحْمنِ

الآيات (19–25)

مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (19) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ (20) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (21) يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ (22) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (23) وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (24) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (25)

غريب الكلمات:

مَرَجَ: أي: خلَطَ أو خلَّى بَيْنَهما وأرسَلَهما، وأصلُ (مرج): يدُلُّ على مجيءٍ وذَهابٍ واضطرابٍ.

بَرْزَخٌ: أي: حاجِزٌ وحَدٌّ، وأصلُ (برزخ): يدُلُّ على الحدِّ بيْنَ الشَّيئينِ.

يَبْغِيَانِ: أي: يَختَلِطانِ ويَلتَقيانِ، وأصلُ (بغي) هنا: جنسٌ مِن الفَسادِ.

الْجَوَارِ: أي: السُّفُنُ، وأصلُ (جري): يدُلُّ على انسِياحِ شَيءٍ.

الْمُنْشَآتُ: أي: المخلوقاتُ المُسخَّراتُ، أو المرفوعاتُ القِلاعِ، أو اللَّواتي أُنْشِئْنَ، أي: ابتُدِئَ بهنَّ في البحرِ، وأصلُ (نشأ): يدُلُّ على ارتفاعٍ في شَيءٍ.

كَالْأَعْلَامِ: أي: كالجِبالِ، واحِدُها عَلَمٌ: وهو الجَبَلُ الطَّويلُ، شَبَّهَ السُّفُنَ في البَحرِ بالجِبالِ في البَرِّ، وأصلُ (علم): يدُلُّ على أَثَرٍ مُميِّزٍ.

تفسير الآيات:

مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (19).

أي: أرسَل اللهُ البَحرَ المِلْحَ والبَحرَ العَذْبَ وتَرَكَهما يتَّصِلانِ مِن غَيرِ أن يختَلِطا.(59)

---

(59) في المراد بالبحرين أقوال: الأول: عني بهما: بحر السماء، وبحر الأرض.

الثاني: عني بهما: بحر فارس، وبحر الروم.

الثالث: عني بهما: فاطمة، وعلي.

ولم يذكر ابن جرير (٢٢/ ٢٠١) غير القولين الأولين، ثم رجّح الأول مستندًا إلى الدلالة العقلية، فقال: «وذلك أنّ الله قال ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾، واللؤلؤ والمرجان إنما يخرج من أصداف بحر الأرض عن قَطر ماء السماء، فمعلوم أنّ ذلك بحر الأرض وبحر السماء».

وذكر ابنُ كثير (١٣/ ٣١٨) ترجيح ابن جرير، وانتقده مستندًا إلى لفظ الآية، فقال: «قال ابن جرير: لأن اللؤلؤ يتولّد من ماء السماء، وأصداف بحر الأرض.

وهذا وإن كان هكذا ليس المراد بذلك ما ذهب إليه، فإنه لا يساعده اللفظ؛ فإنه تعالى قد قال: ﴿بينهما برزخ لا يبغيان﴾ أي: وجعل بينهما برزخًا، وهو: الحاجز من الأرض؛ لئلا يبغي هذا على هذا، وهذا على هذا، فيُفسد كل واحد منهما الآخر، ويُزيله عن صفته التي هي مقصودة منه.

وما بين السماء والأرض لا يُسمى برزخًا وحِجرًا محجورًا».

وقد ساق ابنُ تيمية (٦/ ١٧٠ - ١٧٢ بتصرف) القول الثالث عن سفيان الثوري، من طريق الثعلبي، وذكر أنّ الثعلبي ذكره بإسنادٍ رواته مجهولون لا يُعرفون عن سفيان الثوري، ثم ساق إسناد الثعلبي، وانتقده -مستندًا لضعف إسناده- بقوله: «وهذا الإسناد ظُلمات بعضها فوق بعض، لا يثبت بمثله شيء».

ثم انتقد القول جملةً -مستندًا إلى أحوال النزول، واللغة، والنظائر، والدلالة العقلية، وإجماع المفسرين- من وجوهٍ: أحدها: أنّ سورة الرحمن مكّيّة بإجماع المسلمين، والحسن والحُسين إنما وُلدا بالمدينة.

الثاني: أنّ تسمية هذين بحرين، وهذا لؤلؤًا، وهذا مرجانًا، وجعل النكاح مَرجًا؛ أمر لا تحتمله لغة العرب بوجه، لا حقيقة ولا مجازًا، بل كما أنه كذبٌ على الله وعلى القرآن، فهو كذبٌ على اللغة.

الثالث: أنّ الله ذكر أنه مَرج البحرين في آية أخرى، فقال في الفرقان: ﴿وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج﴾ [الفرقان: ٥٣] فلو أُريد بذلك علي وفاطمة لكان ذلك ذمًّا لأحدهما، وهذا باطل بإجماع أهل السنة والشيعة.

الرابع: أنه قال: ﴿بينهما برزخ لا يبغيان﴾ فلو أُريد بذلك عليّ وفاطمة؛ لكان البرزخ الذي هو النبي - ﷺ - بزعمهم أو غيره هو المانع لأحدهما أن يبغي على الآخر.

وهذا بالذّم أشبه منه بالمدح.

الخامس: أنّ أئمة التفسير مُتفقون على خلاف هذا، كما ذكره ابن جرير وغيره.

فقال ابن عباس: بحر السماء وبحر الأرض يلتقيان كلّ عام.

وقال الحسن: ﴿مَرَجَ البَحْرَيْنِ﴾ يعني: بحر فارس والروم، ﴿بَيْنَهُما بَرْزَخٌ﴾: هو الجزائر.

وزاد ابنُ عطية (٨/ ١٦٦) قولين آخرين، أحدهما: عني بهما: بحر القلزم واليمن، وبحر الشام.

ثانيهما: أنهما مطر السماء، وبحر الأرض.

ثم رجّح أنّ المراد بالبحرين نوعي الماء: المالح والعَذب، فقال: «والظاهر عندي أنّ قوله تعالى: ﴿البحرين﴾ يريد بهما نوعي الماء: العَذب والأجاج».

ولم يذكر مستندًا، وعلّق عليه بقوله: «والعبرة في هذا التأويل منيرة».

ثم وجّه ابن عطية قوله: ﴿يلتقيان﴾ حسب هذه الأقوال، فوجّهه على قول مَن قال: المراد بهما: بحر فارس والروم.

وقول مَن قال: المراد بهما: بحر القلزم واليمن وبحر الشام.

فقال: «أما قوله: ﴿يلتقيان﴾ فعلى التأويلين الأولين معناه: هما مُعدّان للالتقاء، وحقّهما أن يلتقيا لولا البرزخ».

ووجّهه على قول مَن قال: عني بهما بحر السماء وبحر الأرض.

فقال: «وعلى القول الثالث أنهما يلتقيان كل سنة مرة».

وانتقد قول مَن قال: إنه بحر يجتمع في السماء.

قائلًا: «فمَن ذهب إلى أنه بحر يجتمع في السماء فهو قول ضعيف».

غير أنه ذكر له وجْهًا ينتظم به مع قول مَن قال: إنهما مطر السماء وبحر الأرض، فقال: «وإنما يتوجه اللقاء فيه وفي القول الرابع بنزول المطر».

ووجّهه على القول بأنّ المراد بهما نوعي الماء: المالح والعذب بقوله: «وفي القول الخامس بالأنهار في البحر، وبالعيون قرب البحر».

عن عبد الله بن عباس، ﴿مَرَجَ البَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ﴾ قال: علي بن أبي طالب وفاطمة، ﴿بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيانِ﴾ قال: النبيّ - ﷺ -، ﴿يَخْرُجُ مِنهُما اللُّؤْلُؤُ والمَرْجانُ﴾ قال: الحسن والحُسين.

انتقد ابن تيمية (منهاج السنة ١/ ١٩٩) هذا الأثر -مستندا إلى العقل وأقوال السلف- بقوله: «وكل من له عقل وعلم يعلم بالاضطرار بطلان هذا التفسير، وأن ابن عباس لم يقل هذا».

كما قال تعالى: وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا [الفرقان: 53].

بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ (20).

أي: بيْنَ البَحرِ المِلْحِ والبَحرِ العَذْبِ حاجِزٌ يَمنَعُ اختِلاطَ أحدِهما بالآخَرِ، وتَغييرَ طَعْمِه وصِفاتِه.(60)

كما قال تعالى: وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا [النمل: 61].

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (21).

أي: فبأيِّ نِعَمِ ربِّكما تُكذِّبانِ، يا مَعْشَرَ الإنْسِ والجِنِّ؟!

يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ (22).

---

(60) اختُلف في قوله: ﴿لا يبغيان﴾ على أقوال: الأول: لا يبغي أحدهما على الآخر.

الثاني: لا يختلطان.

الثالث: لا يبغيان على اليابس.

الرابع: لا يبغيان أن يلتقيا.

وعلّق ابنُ عطية (٨/ ١٦٦) على القول الأول والثالث بقوله: «وهذان القولان على أنّ اللفظة من البغي».

وعلّق على القول الرابع فقال: «وقال بعض المتأولين: هي من قولك: بغى إذا طلب، فمعناه: لا يبغيان حالًا غير حالهما التي خُلقا وسُخّرا لها».

وقد رجّح ابنُ جرير (٢٢/ ٢٠٤) العموم، فقال: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يُقال: إنّ الله وصف البحرين اللذَيْن ذكرهما في هذه الآية أنهما لا يبغيان، ولم يُخصّص وصْفهما في شيء دون شيء، بل عمّ الخبر عنهما بذلك، فالصواب أن يُعمّ كما عمّ –جل ثناؤه–، فيقال: إنهما لا يبغيان على شيء، ولا يبغي أحدهما على صاحبه، ولا يتجاوزان حدّ الله الذي حدّه لهما».

أي: يَخرُجُ مِنَ البَحرينِ -المِلْحِ والعَذْبِ- اللُّؤلُؤُ والمَرْجانُ اللَّذانِ يتَّخِذُهما النَّاسُ حِلْيةً وزِينةً.[61]

كما قال تعالى: وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا [فاطر: 12].

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (23).

أي: فبأيِّ نِعَمِ ربِّكما تُكَذِّبانِ، يا مَعْشَرَ الإنْسِ والجِنِّ؟!

وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (24).

---

(61) اختُلف في صفة اللؤلؤ والمرجان على أقوال: الأول: أنّ اللؤلؤ: ما عظم من الدُّر، والمرجان: ما صغر منه.
الثاني: أنّ المرجان من اللؤلؤ: الكبار، واللؤلؤ منها: الصغار.
الثالث: أنّ المرجان: جيد اللؤلؤ.
الرابع: أنّ المرجان حجر.
وقد رجّح ابنُ جرير (٢٢/ ٢٠٨) أنّ اللؤلؤ هو ما يخرج من أصداف البحر من الحبّ، فقال مستندًا إلى اللغة: «والصواب من القول في اللؤلؤ: أنه هو الذي عرفه الناس مما يخرج من أصداف البحر من الحبّ».
وبنحوه قال ابنُ كثير (١٣/ ٣١٨).
وأما المرجان فقد علّق ابنُ جرير على الأقوال الواردة فيه بقوله: «وأما المرجان فإني رأيتُ أهل المعرفة بلسان العرب لا يتدافعون أنه جمع مرجانة، وأنه الصغار من اللؤلؤ، وقد ذكرنا ما فيه من الاختلاف بين متقدمي أهل العلم».
ورجّح ابنُ عطية (١٦٧/ ٢٢٨) في اللؤلؤ ما جاء في القول الثاني، فقال: «والوصف بالصّغر هو الصواب في اللؤلؤ».
ورجّح في المرجان أنه حجرٌ أحمر، فقال: «وقال ابن مسعود وغيره: المرجان: حجر أحمر.
وهذا هو الصواب في المرجان».
ولم يذكر فيهما مستندًا.

أي: ولله –ملْكًا وتَدبيرًا وتَسخيرًا– السُفُنُ الجارياتُ، المنشآتُ، فتَبدو في البِحارِ كالجِبالِ.(62)

---

(62) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (22/210، 211)، ((تفسير القرطبي)) (17/164)، ((تفسير ابن كثير)) (7/493)، ((تفسير السعدي)) (ص: 830)، ((تفسير ابن عاشور)) (27/251)، ((تفسير ابن عثيمين: سورة الحجرات – الحديد)) (ص: 310).

قال البغوي: (الْمُنْشَآتُ...

أي: المرفوعاتُ، وهي الَّتي رُفِعَ خَشَبُها بَعضُها على بعضٍ.

وقيل: هي ما رُفِعَ قِلْعُه [أي: شِراعُه] مِنَ السُّفُنِ، وأمَّا ما لم يُرفَعْ قِلْعُه فليس مِن المُنشَآتِ.

وقيل: المخلوقاتُ المسَخَّراتُ).

((تفسير البغوي)) (4/334).

ممَّن اختار أنَّ المعنى: المرفوعاتُ الشُّرُعِ: ابنُ جرير، والزَّجَّاجُ، والسمعاني، والرَّسْعَني، والنسفي، والقاسمي.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (22/210)، ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (5/100)، ((تفسير السمعاني)) (5/327)، ((تفسير الرسعني)) (7/556)، ((تفسير النسفي)) (3/412)، ((تفسير القاسمي)) (9/105).

قال ابن جرير: (الْمُنْشَآتُ بفتحِ الشِّينِ، بمعنَى: المرفوعاتِ القِلاعِ، اللَّاتي تُقبِلُ بهنَّ وتُدْبِرُ).

((تفسير ابن جرير)) (22/210).

وممَّن اختار أنَّ المعنى: المرفوعاتُ، وهي الَّتي رُفِعَ خَشَبُها بعضُها على بعضٍ: البغويُّ، والخازن، والعُلَيمي، والشوكاني.

يُنظر: ((تفسير البغوي)) (4/334)، ((تفسير الخازن)) (4/227)، ((تفسير العليمي)) (6/483)، ((تفسير الشوكاني)) (5/162).

وممَّن اختار أنَّ المعنى: أنشاها النَّاسُ: ابنُ جُزَي، والسعدي، وابنُ عاشور، وابن عثيمين.

يُنظر: ((تفسير ابن جزي)) (2/328)، ((تفسير السعدي)) (ص: 830)، ((تفسير ابن عاشور)) (27/251)، ((تفسير ابن عثيمين: سورة الحجرات– الحديد)) (ص: 310).

قال ابن عاشور: (الْمُنْشَآتُ بفتحِ الشِّينِ، هو اسمُ مفعولٍ، إذا أُوجِدَ وصُنِع، أي: الَّتي أنشأها النَّاسُ بإلهامٍ مِن الله).

((تفسير ابن عاشور)) (27/251).

وقال ابن عطيَّة: (أي: أنشأها اللهُ تعالى، أو النَّاسُ).

((تفسير ابن عطية)) (5/228).

وقال جلال الدين المحلي: (الْمُنْشَآتُ: المُحْدَثاتُ).

((تفسير الجلالين)) (ص: 710).

وقال الثعلبي: (أي: المخلوقاتُ المرفوعاتُ المسخَّراتُ في البَحرِ).

((تفسير الثعلبي)) (9/182).

كما قال تعالى: وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ [الشورى: 32].

وقال سُبحانَه: وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ [إبراهيم: 32].

القَراءاتُ ذاتُ الأَثَرِ في التَّفسيرِ:

1- قِراءةُ: الْمُنْشِآتُ بكَسرِ الشِّينِ. قيل بمعنى: الرَّافِعاتِ الشُّرُعِ. وقيل: المعنى: المُنشِئاتُ السَّيرَ، فنَسَب الفِعلَ إليها على الاتِّساعِ، كما يُقالُ: مات زَيدٌ، ومَرِضَ عَمرٌو، وغَيرُ ذلك مِمَّا يُضافُ الفِعلُ إليه إذا وُجِدَ فيه، وهو في الحقيقةِ لِغَيرِه. وقيل: يجوزُ أن يكونَ المُنشِئاتُ مُشتَقًّا مِن أنشَأَ السَّيرَ: إذا أسرَعَ، أي: الَّتي يَسيرُ بها النَّاسُ سَيرًا سَريعًا.[63]

2- قِراءةُ: الْمُنْشَآتُ بفَتحِ الشِّينِ. قيل: المعنى: المَرفوعاتُ الشُّرُعِ. وقيل: المعنى: أنَّها أُجرِيَت وفُعِل بها الإنشاءُ، ولم تَفعَلْ ذلك بنَفْسِها.[64]

(63) قرأ بها حمزةُ، وشُعبةُ عن عاصمٍ في أحدِ الوجهينِ.
يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (381/2).
ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((معاني القرآن)) للزجاج (100/5)، ((الحجة للقراء السبعة)) لأبي علي الفارسي (248/6)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 691، 692)، ((تفسير ابن عاشور)) (251/27).
(64) قرأ بها الباقون.
يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (381/2).
ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((معاني القرآن)) للزجاج (100/5)، ((الحجة للقراء السبعة)) لأبي علي الفارسي (248/6)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 692)، ((تفسير ابن عاشور)) (251/27).

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (25).

أي: فبأيِّ نِعَمِ ربِّكما تُكَذِّبانِ، يا مَعْشَرَ الإنْسِ والجِنِّ؟!

سورةُ الرَّحْمنِ

الآيات (26-30)

كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (27) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (28) يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (29) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (30)

غريب الكلمات:

فَانٍ: أي: هالِكٌ.

ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ: أي:المُستحِقُّ لأنْ يُجَلَّ – فهو ذو العَظَمةِ والكِبرياءِ والمجدِ–، ولأنْ يُكرَمَ؛ لاتِّصافِه بما يُوجبُ ذلك، والإجلالُ يتضمَّنُ التَّعظيمَ، والإكرامُ يتضمَّنُ الحمدَ والمحبةَ، والجَلالةُ: عِظَمُ القَدْرِ، والجَلالُ: التَّناهي في ذلك، وأصلُ (جلل): يدُلُّ على العَظَمةِ، وأصلُ (كرم): يدُلُّ على الشَّرَفِ.

شَأْنٍ: الشَّأْنُ: الحالُ والأمرُ، ولا يُقالُ إلَّا فيما يعظُمُ مِن الأحوالِ والأمورِ، فهو الشَّيءُ العظيمُ والحدثُ المهمُّ مِن مخلوقاتٍ وأعمالٍ مِن السَّمَواتِ والأرضِ، وأصل (شأن): يدُلُّ على ابْتِغاءٍ وطلَبٍ.

تفسير الآيات:

كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26).

أي: كلُّ مَنْ على الأرضِ مِن إنسٍ أو جِنٍّ أو غَيرِهما: هالِكٌ لا يَبقى.

كما قال تعالى: كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ [آل عمران: 185].

وقال سُبحانَه وتعالى: أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ [النساء: 78].

وقال عزَّ وجلَّ: إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا * وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا [الكهف: 7، 8].

وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (27).

أي: ويَبقَى وَجهُ ربِّك -يا محمَّدُ- الموصوفُ وَجهُه بالعَظَمةِ والإكرامِ، واستِحقاقِ التَّعظيمِ والمحبَّةِ، وإثباتِ صِفاتِ الكَمالِ والجَمالِ، فالله عزَّ وجلَّ هو الحيُّ الَّذي لا يموتُ أبدًا.

كما قال تعالى: كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ [القصص: 88].

وقال سُبحانَه: وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ [الفرقان: 58].

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (28).

أي: فبأيِّ نِعَمِ ربِّكما تُكذِّبانِ، يا مَعْشَرَ الإنْسِ والجِنِّ؟!

يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (29).

يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

أي: إلى اللهِ يَفزَعُ جَميعُ مَن في السَّمَواتِ ومَن في الأرضِ بسُؤالِ حاجاتِهم؛ فلا يَستَغني الخَلائِقُ عن دُعاءِ رَبِّهم.(65)

قال تعالى: وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا [إبراهيم: 34].

كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ.

أي: كُلَّ يَومٍ يُحدِثُ اللهُ تعالى شأنًا عَظيمًا؛ كأنْ يُحيِيَ خَلْقًا ويُميتَ آخَرِينَ، أو يُفَرِّجَ كَربًا، أو يَغفِرَ ذنْبًا، أو يُجيبَ دُعاءً، أو يَشفِيَ مَريضًا، أو يُغنِيَ فَقيرًا، أو يُعلِّمَ جاهِلًا، أو يَهدِيَ ضالًّا، أو يُعِزَّ قَومًا، ويُذِلَّ آخَرِينَ!

---

(65) ذكر ابنُ عطية (٨/ ١٧٠) في قوله: ﴿يسأله﴾ احتمالين، ووجّههما، فقال: «قوله: ﴿يسئله﴾ يحتمل أن يكون في موضع الحال من الوجه، والعامل فيه ﴿يبقى﴾ أي: هو دائم في هذه الحال.

ويحتمل أن يكون فعلًا مستأنفًا إخبارًا مجردًا، والمعنى: أنّ كلّ مخلوق من الأشياء فهو في قوامه وتمسّكه ورزقه إن كان مما يرزق بحال حاجة إلى الله تعالى، فمن كان يسأل بنطق فالأمر فيه بيّن، ومن كان من غير ذلك فحاله تقتضي السؤال، فأسند فعل السؤال إليه».

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (30).

أي: فبأيِّ نِعَمِ ربِّكما تُكَذِّبانِ، يا مَعْشَرَ الإنْسِ والجِنِّ؟!

سورةُ الرَّحْمنِ

الآيات (31-36)

سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ (31) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (32) يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ
اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (33)
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (34) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ (35)
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (36)

غريب الكلمات:

سَنَفْرُغُ: أي: سنَقصِدُ لكم بعدَ طُولِ التَّركِ والإمهالِ، والفَراغُ في اللُّغةِ على ضَربَينِ: أحَدُهما: الفراغُ مِنَ الشُّغلِ، والآخَرُ: القَصدُ للشَّيءِ، تقولُ: سأتفَرَّغُ لفُلانٍ، أي: سأجعَلُ قَصْدي إليه.

الثَّقَلَانِ: أي: الإنسُ والجِنُّ؛ سُمِّيا بذلك قيل: لأنَّهما مُثقلانِ بالتَّكليفِ. وقيل: لعِظَمِ شَأنِهما بالإضافةِ إلى ما في الأرضِ مِن غَيرِهما. وقيل: لأنَّهما مُثقَلانِ بالذُّنوبِ.

تَنْفُذُوا: أي: تجوزوا وتخرجوا، يُقالُ: نفَذَ الشَّيءُ مِن الشَّيءِ إذا خلَص منه، ونفَذ السَّهمُ في الرَّمِيَّةِ نُفوذًا ونَفاذًا، إذا خرَقَ إلى الجهةِ الأخرى، وأصلُ (نفذ): يدُلُّ على مَضاءٍ في أمرٍ وغيرِه.

أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ: أي: جَوانِبِها ونَواحيها.

بِسُلْطَانٍ: أي: بمُلْكٍ وقُوَّةٍ، والسُّلطانُ: القُوَّةُ الَّتي يُتسَلَّطُ بها على الأمرِ، فالمُلْكُ والقُدرةُ والحُجَّةُ: كُلُّها سُلطانٌ.

شُوَاظٌ: أي: لَهَبٌ بِلَا دُخَانٍ.

وَنُحَاسٌ: أي: دُخَانٌ، أو: دُخَانٌ فيه شَرَرٌ مُتطايِرٌ، وقِطْرٌ مُذابٌ، وقيل: هو الدُّخانُ الذي لا لهبَ فيه.

تفسير الآيات:

سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ (31).

أي: سنَقصِدُ لمُحاسَبتِكم يومَ القيامةِ –يا مَعشَرَ الإنسِ والجِنِّ– ونُجازيكم ثوابًا أو عِقابًا بحَسَبِ أعمالِكم.[66]

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (32).

أي: فبأيِّ نِعَمِ ربِّكما تُكَذِّبانِ، يا مَعْشَرَ الإنْسِ والجِنِّ؟!

يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (33).

---

(66) بيّن ابن جرير (٢٢/ ٢١٦) أنّ قوله تعالى: ﴿سنفرغ لكم أيها الثقلان﴾: «وعيد من الله لعباده وتهدّيد، كقول القائل الذي يتهدّد غيره ويتوعّده، ولا شُغل له يَشغَله عن عقابه: لأتفرّغنّ لك، وسأتفرّغ لك.
بمعنى: سأجدّ في أمرك وأعاقبك، وقد يقول القائل للذي لا شغل له: قد فرَغتَ لي، وقد فرَغت لشتمي.
أي: أخذتَ فيه، وأقبلتَ عليه، وكذلك قوله –جلّ ثناؤه–: ﴿سنفرغ لكم﴾ سنحاسبكم، ونأخذ في أمركم، أيها الإنس والجنّ، فنعاقب أهل المعاصي، ونثيب أهل الطاعة».
واستدل على ذلك بأقوال السلف.
ثم بيّن (٢٢/ ٢١٧) أنّ الآية تحتمل وجهًا آخر، فقال: «وقد يحتمل أنْ يُوجّه معنى ذلك إلى: سَنَفرُغ لكم مِن وعدِناكم ما وعَدْناكم من الثواب والعقاب».
وبيّن ابنُ عطية (٨/ ١٧١) أنّ الوعيد بهذه الآية يكون يوم القيامة، ثم ذكر احتمالًا آخر أنّ ذلك يكون بعذاب في الدنيا، ورجّح الأول بقوله: «والأول أبين».
ولم يذكر مستندًا.

يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا.

أي: يا مَعشَرَ الجِنِّ والإنسِ إنِ استَطَعْتُم أن تَنفُذوا مِن جَوانِبِ السَّمَواتِ والأرضِ ونواحيها الواسِعةِ، فتَخرُجوا منها فِرارًا مِن ربِّكم حتَّى لا يَقدِرَ عليكم- فافعَلوا![67]

قال تعالى: وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ [العنكبوت: 22].

---

(67) اختُلف في قوله: ﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا﴾ على أقوال:

الأول: معناه: إن استطعتم أن تَعلَموا ما في السماوات والأرض فاعلموا.

الثاني: معناه: إن استطعتم أن تهرُبوا من الموت بالخروج من أقطار السموات والأرض فاهرُبوا واخرُجوا منها، لكنكم لا تقدرون.

الثالث: معنى قوله: ﴿لا تنفذون﴾ لا تخرجون من سلطاني.

الرابع: إن استطعتم أن تَجُوزوا أطراف السموات والأرض فتُعجِزوا ربَّكم حتى لا يقدر عليكم فجُوزوا.

وإنما يقال لهم هذا يوم القيامة.

وقد ذكر ابنُ القيم (٣/ ٩٦ - ٩٧ بتصرف) الأقوال الثلاثة الأولى، ثم وجّهها بقوله: «وهذه الأقوال على أن يكون الخطاب لهم بهذا القول في الدنيا».

ثم رجّح -مستندًا إلى النظائر، والسياق، وإلى الدلالة العقلية- القول الرابع، فقال: «وفي الآية تقرير آخر، وهو أن يكون هذا الخطاب في الآخرة إذا أحاطت الملائكة بأقطار الأرض، وأحاط سرادق النار بالآفاق، فهرب الخلائق، فلا يجدون مهربًا ولا منفذًا، كما قال تعالى: ﴿ويا قَوْمِ إني أخافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّناد يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ [غافر: ٣٢ - ٣٣]...

وهذا القول أظهر...

وكأنّ ما قبل هذه الآية وما بعدها يدلّ على هذا القول، فإنّ قبلها: ﴿سَنَفْرُغُ﴾ الآية، وهذا في الآخرة، وبعدها: ﴿فَإذا انشَقَّتِ السّماءُ فَكانَتْ وَرْدَةً كالدِّهانِ﴾، وهذا في الآخرة.

وأيضًا فإنّ هذا خطاب لجميع الإنس والجنّ، فإنه أتى فيه بصيغة العموم وهي قوله تعالى: ﴿يا مَعْشَرَ الجِنِّ والإنسِ﴾ فلابدّ أن يشترك الكل في سماع هذا الخطاب ومضمونه، وهذا إنما يكون إذا جمعهم الله في صعيد واحد، يُسمعهم الداعي، وينفذهم البصر».

لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ.

أي: ليسَت لكم –يا مَعشَرَ الجِنِّ والإنسِ– استِطاعةٌ على النُّفوذِ مِن أقطارِ السَّمَواتِ والأرضِ إلَّا بقُوَّةٍ وقَهرٍ وغلَبةٍ، وليس لكم ذلك![68]

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (34).

أي: فبأيِّ نِعَمِ ربِّكما تُكَذِّبانِ، يا مَعْشَرَ الإنْسِ والجِنِّ؟!

يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ (35).

يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ.

---

(68) في قوله: ﴿إلا بسلطان﴾ أقوال: الأول: ببيّنة.

الثاني: بحُجّة.

الثالث: بملك.

ووجّه ابنُ عطية (٨/ ١٧٣) القول الثاني، فقال: «والسلطان: هو القوة على غرض الإنسان، ولا يُستعمل إلا في الأعظم من الأمر والحُجج أبدًا من القوي في الأمور، ولذلك يعبّر كثير من المفسرين عن السلطان بأنه الحُجّة».

ورجّح ابنُ جرير (٢٢/ ٢٢١) –مستندًا إلى اللغة– القولين الأولين، فقال: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول مَن قال: معنى ذلك: إلا بحُجّة وبيّنة؛ لأن ذلك هو معنى السلطان في كلام العرب».

ثم بيّن احتمال دخول القول الثالث في ذلك، فقال: «وقد يدخل الملك في ذلك؛ لأنّ الملك حُجّة».

أي: يُرسَلُ عليكما –يا مَعشَرَ الجِنّ والإنسِ– لَهَبٌ عَظيمٌ مُنتَشِرٌ مِن نارٍ لا دُخانَ معها، ويُرسَلُ عليكما دُخانٌ فيه شَرَرٌ مُتطايِرٌ، وقِطرٌ مُذابٌ.(69)

---

(69) رجّح ابنُ جرير (٢٢/ ٢٢١) –مستندًا إلى لغة العرب، وأقوال السلف– أنّ قوله تعالى: ﴿شواظ﴾ معني به: اللهب المتطاير من النار، فقال: «﴿شواظ من نار﴾ وهو لهبها من حيث تشتعل وتؤجج بغير دُخان كان فيه، ومنه قول رُؤْبة بن العَجّاج:

إنّ لهم من وقْعنا أقياظا

ونار حرب تُسْعِر الشُّواظا

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل «.

وذكر أقوال السلف في هذا.

ثم ذكر (٢٢/ ٢٢٣) قول الضَّحّاك من طريق عبيد: أنّ الشواظ هو:» الدُّخان الذي يخرج من اللهب».

ولم يعلّق عليه.

في قوله: ﴿ونحاس﴾ قولان: الأول: أنه الدُّخان.

الثاني: أنه الصُّفر.

وقد رجّح ابنُ جرير (٢٢/ ٢٢٦) مستندًا إلى السياق وإلى لغة العرب القول الأول، وعلَّل ذلك بقوله: «وذلك أنه –جلّ ثناؤه– ذكر أنه يُرسل على هذين الحيّين شواظ من نار، وهو النار المحضة التي لا يخلطها دُخان، والذي هو أولى بالكلام أنه توعّدهم بنار هذه صفتها أن يتبع ذلك الوعد بما هو خلافها من نوعها من العذاب دون ما هو من غير جنسها، وذلك هو الدُّخان، والعرب تُسمّي الدّخان: نُحاسًا –بضم النون–، ونِحاسًا –بكسرها–، والقراء مجمعة على ضمها».

وذكر ابنُ كثير (١٣/ ٣٢٥) اختلاف السلف، ثم قال معلّقًا: «والمعنى على كلّ قول: لو ذهبتم هاربين يوم القيامة لرَدّتكم الملائكة والزبانية بإرسال اللهب من النار والنحّاس المذاب عليكم لترجعوا.

ولهذا قال: ﴿فلا تنتصران﴾».

في قوله: ﴿ونحاس﴾ قولان: الأول: أنه الدُّخان.

الثاني: أنه الصُّفر.

وقد رجّح ابنُ جرير (٢٢/ ٢٢٦) مستندًا إلى السياق وإلى لغة العرب القول الأول، وعلَّل ذلك بقوله: «وذلك أنه –جلّ ثناؤه– ذكر أنه يُرسل على هذين الحيّين شواظ من نار، وهو النار المحضة التي لا يخلطها دُخان، والذي هو أولى بالكلام أنه توعّدهم بنار هذه صفتها أن يتبع ذلك الوعد بما هو خلافها من نوعها من العذاب دون ما هو من غير جنسها، وذلك هو الدُّخان، والعرب تُسمّي الدّخان: نُحاسًا –بضم النون–، ونِحاسًا –بكسرها–، والقراء مجمعة على ضمها».

كما قال تعالى: وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ * وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ * إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ [الحجر: 16 – 18].

وقال سُبحانَه: انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ * لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ * إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ *كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ [المرسلات: 30 – 33].

فَلَا تَنْتَصِرَانِ.

أي: فلا يُمكِنُكما الانتِصارُ –يا مَعشَرَ الجِنِّ والإنسِ–، فلا تمتَنِعانِ مِن عَذابِه بأنفُسِكم، ولا بناصِرٍ مِن غَيرِكم!

كما قال تعالى: فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ [الطارق: 10].

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (36).

أي: فبأيِّ نِعَمِ ربِّكما تُكَذِّبانِ، يا مَعْشَرَ الإنْسِ والجِنِّ؟!

وذكر ابنُ كثير (١٣/ ٣٢٥) اختلاف السلف، ثم قال معلّقًا: «والمعنى على كلّ قول: لو ذهبتم هاربين يوم القيامة لرَدّتكم الملائكة والزبانية بإرسال اللهب من النار والنحّاس المذاب عليكم لترجعوا.

ولهذا قال: ﴿فلا تنتصران﴾».

سورةُ الرَّحْمنِ

الآيات (37–45)

فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (37) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (38)
فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ (39) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (40) يُعْرَفُ
الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ (41) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (42)
هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (43) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ (44) فَبِأَيِّ
آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (45)

غريب الكلمات:

وَرْدَةً كَالدِّهَانِ: وَرْدَةً: أي: حَمراءَ كالوردةِ المعروفةِ، وقيل: المرادُ: كالفَرَسِ الوَرْدِ، يُقالُ له ذلك إذا كان يَتلَوَّنُ بألوانٍ مُختَلِفةٍ، والدِّهانُ: جمعُ دُهْنٍ، قيل: هو دُرْدِيُّ الزَّيتِ، وذلك أنَّ السَّماءَ يَعترِيها يومَ القيامة ذَوبٌ وتَمَيُّعٌ؛ مِن شِدَّةِ الهَولِ. وقيل: تحمَرُّ احمِرارَ الوَردِ، ثمَّ تذوبُ ذَوَبانَ الدُّهنِ. وقيل: تمورُ كالدُّهنِ صافِيَةً. وقيل: الدِّهانُ اسمٌ لِما يُدهَنُ به، وقيل: الدِّهانُ: الأديمُ الأحمرُ، وأصلُ (ورد) هنا: لَوْنٌ مِن الألوانِ، وأصلُ (دهن): يدُلُّ على لِينٍ وسُهولةٍ.

بِسِيمَاهُمْ: أي: بعَلاماتِهم وآثارِهم، وأصلُ (وسم): يدُلُّ على أثَرٍ ومَعْلَمٍ.

فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ: أي: تُضَمُّ ناصيةُ كُلٍّ منهم (أي: مُقَدَّمُ رأسِه) إلى قَدَمَيه مِن خَلفٍ أو قُدَّامٍ، ويُلقَى في النَّارِ.

حَمِيمٍ آنٍ: أي: ماءٍ مُغْلًى بَلَغ الغايةَ في شِدَّةِ حَرِّه، وأصلُ (حمم): يدُلُّ على الحَرارةِ، وأصلُ (أنى) هنا: يدُلُّ على إدراكِ الشَّيءِ.

تفسير الآيات:

فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (37).

أي: فإذا انشَقَّت السَّماءُ يومَ القيامةِ، فصارت مِثلَ الوَردةِ حَمراءَ، كالدُّهْنِ.

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (38).

أي: فبأيِّ نِعَمِ ربِّكما تُكذِّبانِ، يا مَعْشَرَ الإنْسِ والجِنِّ؟!

فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ (39).

أي: ففي ذلك اليَومِ لا يُسْأَلُ إنسِيٌّ ولا جِنِّيٌّ عمَّا اقترَف مِن ذنْبٍ!

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (40).

أي: فبأيِّ نِعَمِ ربِّكما تُكَذِّبانِ، يا مَعْشَرَ الإنْسِ والجِنِّ؟!

يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ (41).

يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ.

أي: يُعرَفُ المُجرِمونَ يومَ القيامةِ بعَلاماتٍ تُمَيِّزُهم عن غَيرِهم.

فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ.

أي: فيُؤخَذ بمُقَدَّمِ رُؤوسِ المُجرِمينَ وبأقدامِهم، ويُلقَوْن في جهنَّمَ.

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (42).

أي: فبأيِّ نِعَمِ ربِّكما تُكَذِّبانِ، يا مَعْشَرَ الإنْسِ والجِنِّ؟!

هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (43).

أي: يُقالُ لهم: هذه هي جهنَّمُ الَّتي يُكذِّبُ بوُجودِها المُجرِمونَ في الدُّنيا، هاهي حاضِرةٌ يُشاهِدونَها في الآخِرةِ عِيانًا!

كما قال تعالى: هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ [يس: 63، 64].

يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ (44).

أي: يَطوفُ المُجرِمونَ بيْنَ مَوضِعِ جهنَّمَ وبيْنَ مَوضِعِ الحَميمِ الَّذي قد بَلَغ ماؤُه الغايةَ في حَرِّه، ويَتردَّدون بَيْنَهما!

قال تعالى: إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ * فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ [غافر: 71، 72].

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (45).

أي: فبأيِّ نِعَمِ ربِّكما تُكَذِّبانِ، يا مَعْشَرَ الإنْسِ والجِنِّ؟!

سورةُ الرَّحْمنِ

الآيات (46–61)

وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (46) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (47) ذَوَاتَا أَفْنَانٍ (48)
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (49) فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (50) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
(51) فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ (52) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (53) مُتَّكِئِينَ عَلَى
فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (54) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (55) فِيهِنَّ
قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (56) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (57)
كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ (58) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (59) هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا
الْإِحْسَانُ (60) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (61)

غريب الكلمات:

ذَوَاتَا أَفْنَانٍ: أي: أغْصانٍ، واحِدُها فَنَنٌ، وهو الغُصنُ المُستَقيمُ طُولًا. وقيل: الأفنانُ: الألوانُ المُختَلِفةُ.

بَطَائِنُهَا: جَمعُ بِطانةٍ، وهي الَّتي تحتَ الظِّهارةِ مِمَّا يلي الأرضَ.

إِسْتَبْرَقٍ: أي: ما غَلُظَ مِنَ الحَريرِ، وهو فارسيٌّ مُعَرَّبٌ.

وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ: أي: ثَمَرُهما قَريبٌ يَنالُه القائِمُ والقاعِدُ والنَّائِمُ، والجَنَى: ما يُجتَنَى مِنَ الثِّمارِ، وأصلُ (جني): أخْذُ الثَّمرةِ مِن شجرِها، وأصلُ (دنو): المُقارَبةُ.

قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ: أي: حابِساتُ الأبصارِ على أزواجِهنَّ، وأصلُ (قصر): يدُلُّ على الحَبسِ.

يَطْمِثْهُنَّ: أي: يَمَسَسْهنَّ ويَفتَضَّهنَّ ويَدْنُ مِنهنَّ، والطَّمْثُ: النِّكاحُ بالتَّدميَةِ، وأصلُه مِنَ الطَّمْثِ، وهو الدَّمُ.

تفسير الآيات:

وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (46).

أي: ولكلِّ مَن خاف -مِنَ الإنسِ والجِنِّ- مَقامَه بيْنَ يَدَيِ اللهِ للحِسابِ يومَ القيامةِ، فاتَّقاه في الدُّنيا بامتِثالِ أوامِرِه، واجتِنابِ نواهِيه: جَنَّتانِ في الآخِرةِ.

قال تعالى: وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى [النازعات: 40، 41].

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (47).

أي: فبأيِّ نِعَمِ رَبِّكما تُكَذِّبانِ، يا مَعشَرَ الإنسِ والجِنِّ؟!

ذَوَاتَا أَفْنَانٍ (48).

أي: وهاتانِ الجَنَّتانِ صاحِبَتا أغصانٍ كثيرةٍ.

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (49).

أي: فبأيِّ نِعَمِ رَبِّكما تُكَذِّبانِ، يا مَعشَرَ الإنسِ والجِنِّ؟!

فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (50).

أي: في هاتَينِ الجنَّتينِ عَينانِ تَجريانِ.

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (51).

أي: فبأيِّ نِعَمِ ربِّكما تُكذِّبانِ، يا مَعشَرَ الإنسِ والجِنِّ؟!

فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ (52).

أي: في الجنَّتينِ مِن كُلِّ أنواعِ الفاكِهةِ صِنفانِ مُختَلِفانِ.

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (53).

أي: فبأيِّ نِعَمِ ربِّكما تُكذِّبانِ، يا مَعشَرَ الإنسِ والجِنِّ؟!

مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (54).

مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ.

أي: مُتنَعِّمينَ بالاتِّكاءِ على فُرُشٍ بطائنُها الَّتي تلي جِهةَ الأرضِ: مِنَ الحَريرِ الغَليظِ اللَّامِعِ، فكيفَ بظَواهِرِها الَّتي تَلي بَشَرَتَهم؟!

وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ.

أي: وثَمَرُ هاتَينِ الجنَّتينِ قَريبٌ مِن أهلِهما، فيَتناوَلونَه بيُسرٍ وسُهولةٍ.

قال تعالى: فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ [الحاقة: 22، 23].

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (55).

أي: فبأيِّ نِعَمِ ربِّكما تُكذِّبانِ، يا مَعشَرَ الإنسِ والجِنِّ؟!

فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (56).

فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ.

أي: فيهنَّ نِساءٌ قد قَصَرْنَ نَظَرَهنَّ على أزواجِهنَّ، فلا يُبصِرْنَ سِواهم، ولا يَرغَبْنَ في غَيرِهم.

قال الله تبارك وتعالى: وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ * كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ [الصافات: 48، 49].

لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ.

أي: لم يُجامِعْهنَّ فيَفتَضَّ بَكارتَهنَّ قبْلَ أزواجِهنَّ أحَدٌ مِنَ الإنسِ أو الجِنِّ.

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (57).

أي: فبأيِّ نِعَمِ ربِّكما تُكذِّبانِ، يا مَعشَرَ الإنسِ والجِنِّ؟!

كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ (58).

أي: أولئك الحُورُ العِينُ مِثلُ الياقوتِ والمَرْجانِ صَفاءً ولَونًا.

عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ النَّبيَّ – ﷺ – قال: ((لِكُلِّ امْرِئٍ منهم زَوجتانِ، كلُّ واحدةٍ مِنهما يُرَى مُخُّ ساقِها مِن وَراءِ لَحمِها؛ مِنَ الحُسنِ!)).(70)

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (59).

أي: فبأيِّ نِعَمِ رَبِّكما تُكَذِّبانِ، يا مَعشَرَ الإنسِ والجِنِّ؟!

هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (60).

أي: هل جَزاءُ مَن أحسَنَ العَمَلَ في الدُّنيا إلَّا أن يُحسَنَ إليه بالتَّنعيمِ في الآخِرةِ؟!

قال تعالى: لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ [يونس: 26].

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (61).

أي: فبأيِّ نِعَمِ رَبِّكما تُكَذِّبانِ، يا مَعشَرَ الإنسِ والجِنِّ؟!

(70) رواه البخاري (3246) واللَّفظُ له، ومسلم (2834).

سورةُ الرَّحْمنِ

الآيات (62-78)

وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ (62) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (63) مُدْهَامَّتَانِ (64) فَبِأَيِّ آلَاءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (65) فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ (66) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (67) فِيهِمَا
فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ (68) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (69) فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ (70)
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (71) حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ (72) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ (73) لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (74) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (75)
مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ (76) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (77) تَبَارَكَ
اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (78)

غريب الكلمات:

وَمِنْ دُونِهِمَا: دُونَ: أقَلُّ، أي: أقَلُّ منهما في المَنزِلةِ والقَدرِ، يُقالُ للقاصِرِ عن الشَّيءِ: دُون، وقيل: (دون) بمعنَى (غير)، ولها مَعانٍ كثيرةٌ، و(دُونَ) قيل: هو مقلوبٌ مِن الدُّنوِّ، وأصل (دون): يدُلُّ على المُداناةِ والمُقارَبةِ.

مُدْهَامَّتَانِ: أي: سَوْداوانِ؛ مِن شِدَّةِ الخُضرةِ والرِّيِّ، والأصلُ في ذلك أنَّ الخُضرةَ إذا اشتَدَّت ضَرَبَت إلى السَّوادِ.

نَضَّاخَتَانِ: أي: فوَّارتانِ بالماءِ بقُوَّةٍ، والنَّضْخُ: فَورُ الماءِ مِنَ العَينِ، وهو أكثَرُ مِنَ النَّضْحِ.

حُورٌ: جمعُ حوراءَ، وهي: البَيضاءُ، أو: الشَّديدةُ بياضِ العَينِ الشَّديدةُ سَوادِها.

مَقْصُورَاتٌ: أي: مَحبوساتٌ مَستوراتٌ، والقَصرُ: المَنعُ والحَبسُ.

رَفْرَفٍ: أي: ما تدَلَّى مِنَ الأَسِرَّةِ مِن غالي الثِّيابِ والبُسُطِ؛ مِن رَفَّ البَيتُ: إذا تنَعَّمَ وحَسُنَ، جَمعٌ واحِدُها: رَفرَفةٌ.

وَعَبْقَرِيٍّ أي: بُسُطٍ ووسائِدَ فائِقةِ الجَمالِ، بديعةِ الصُّنعِ، والعَبقريُّ: نِسبةٌ إلى عَبقَرٍ: اسمُ بلادِ الجِنِّ في مُعتَقَدِ العَرَبِ، فنَسَبوا إليه كُلَّ ما تجاوَزَ العادةَ في الإتقانِ والحُسْنِ.

تفسير الآيات:

وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ (62).

أي: ومِن دُونِ الجَنَّتَينِ -اللَّتَينِ تقَدَّمَ ذِكرُهما- جَنَّتانِ أقَلُّ مِنهما رُتبةً وفَضلًا.

عن أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه، أنَّ رسولَ اللَّهِ - ﷺ - قال: ((جَنَّتانِ مِن فِضَّةٍ، آنِيَتُهما وما فيهما، وجَنَّتانِ مِن ذَهَبٍ، آنِيَتُهما وما فيهما)).

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (63).

أي: فبأيِّ نِعَمِ رَبِّكما تُكَذِّبانِ، يا مَعشَرَ الإنسِ والجِنِّ؟!

مُدْهَامَّتَانِ (64).

أي: هاتانِ الجَنَّتانِ مُسْوَدَّتانِ؛ مِن شِدَّةِ خُضرتِهما.

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (65).

أي: فبأيِّ نِعَمِ رَبِّكما تُكَذِّبانِ، يا مَعشَرَ الإنسِ والجِنِّ؟!

فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ (66).

أي: في هاتَينِ الجَنَّتَينِ عَينانِ فوَّارتانِ بالماءِ بقُوَّةٍ.

فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (67).

أي: فبأيِّ نِعَمِ رَبِّكما تُكَذِّبانِ، يا مَعشَرَ الإنسِ والجِنِّ؟!

فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ (68).

أي: في هاتَينِ الجَنَّتَينِ فَواكِهُ ونَخيلٌ ورُمَّانٌ.

فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (69).

أي: فبأيِّ نِعَمِ رَبِّكما تُكَذِّبانِ، يا مَعشَرَ الإنسِ والجِنِّ؟!

فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ (70).

أي: فِيهنَّ خَيْراتُ الصِّفاتِ والأخلاقِ والشِّيَمِ، وحِسانُ الوُجوهِ والأبدانِ؛ فهنَّ في غايةِ الجَمالِ خَلْقًا وخُلُقًا!

فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (71).

أي: فبأيِّ نِعَمِ رَبِّكما تُكَذِّبانِ، يا مَعشَرَ الإنسِ والجِنِّ؟!

حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ (72).

أي: مِن وَصفِهنَّ أنَّهنَّ بيضٌ شَديدٌ سوادُ أعيُنِهنَّ وبَياضُها، مَحجوباتٌ ومَحبوساتٌ في بُيوتِ اللُّؤلُؤِ المُجَوَّفِ.

عن أبي موسى الأَشعريّ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ رَسولَ اللهِ - ﷺ - قال: ((في الجنَّةِ خَيمةٌ مِن لُؤلؤةٍ مُجَوَّفةٍ، عَرضُها سِتُّونَ مِيلًا، في كُلِّ زاويةٍ منها أهلٌ ما يَرَونَ الآخَرينَ، يَطوفُ عليهم المُؤمِنُ!)).(71)

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (73).

أي: فبأيِّ نِعَمِ رَبِّكما تُكَذِّبانِ، يا مَعشَرَ الإنسِ والجِنِّ؟!

لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (74).

أي: لم يُجامِعْهنَّ فيَفتَضَّ بَكارتَهُنَّ قبْلَ أزواجِهنَّ أحَدٌ مِنَ الإنسِ أو الجِنِّ.

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (75).

أي: فبأيِّ نِعَمِ رَبِّكما تُكَذِّبانِ، يا مَعشَرَ الإنسِ والجِنِّ؟!

مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ (76).

أي: يَتنَعَّمونَ بالاتِّكاءِ على ثيابٍ خَضراءَ فاخِرةٍ رَقيقةٍ مُتدَلِّيةٍ مِن فُرُشِهم، ومُتَّكِئينَ على بُسُطٍ فائِقةِ الجَمالِ، بديعةِ الصُّنعِ، حَسَنةِ المَنظَرِ!

---

(71) أخرجه البخاري (4878)، ومسلم (180).
قال ابن حجر: (قولُه: «جنَّتانِ» إشارةٌ إلى قولِه تعالى: وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ، وتفسيرٌ له).
((فتح الباري)) (432/13).

فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (77).

أي: فبأيِّ نِعَمِ رَبِّكما تُكَذِّبانِ، يا مَعشَرَ الإنسِ والجِنِّ؟!

تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (78).

أي: تَبارَكَ اسمُ رَبِّك -يا محمَّدُ- فالبَرَكةُ كلُّها منه، فكلُّ ما ذُكِر عليه بُورِك فيه، صاحِبِ العَظَمةِ الباهِرةِ، المُستَحِقِّ لتَعظيمِه وعِبادتِه، والمُكرِمِ عِبادَه بنِعَمِه، المُستَحِقِّ للإكرامِ والحُبِّ مِن جَميعِ خَلْقِه.

القِراءاتُ ذاتُ الأثَرِ في التَّفسيرِ:

1- قِراءةُ: تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ بالواوِ رَفعًا على الوَصفِ لـ اسْمُ.[72]

2- قراءةُ: تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ بالياءِ جَرًّا على الوَصفِ لـ رَبِّكَ.[73]

---

(72) قرأ بها ابنُ عامر.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (382/2).

ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((الحجة في القراءات السبع)) لابن خالويه (ص: 340)، ((معاني القراءات)) للأزهري (48/3).

(73) قرأ بها الباقون.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (382/2).

ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((الحجة في القراءات السبع)) لابن خالويه (ص: 340)، ((معاني القراءات)) للأزهري (48/3).

تَفْسِيرُ
سُورَةِ الواقِعة

سُورةُ الواقِعةِ

سورةُ الواقِعةِ

سُمِّيَت هذه السُّورةُ بسُورةِ الواقِعةِ.[74]

سورةُ الواقِعةِ مَكِّيَّةٌ،[75] وحُكِيَ الإجماعُ على ذلك.[76]

---

(74) سُمِّيَت هذه السُّورةُ بسورةِ الواقعةِ؛ لِافتِتاحِها بلَفظِ (الواقِعة).

يُنظر: ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (1/450).

قال ابنُ عاشور: (وهكذا سُمِّيَتْ في المصاحِفِ وكُتُبِ السُّنَّةِ، فلا يُعرَفُ لها اسمٌ غيرُ هذا).

((تفسير ابن عاشور)) (27/279).

(75) وقيل: السُّورةُ مَكِّيَّةٌ إلَّا آيةً منها فمَدَنيَّةٌ، وهي قَولُه تعالى: وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ [الواقعة: 82].

وقيل: والآيةُ الَّتي قَبْلَها.

وقيل: السُّورةُ كُلُّها مَدَنيَّةٌ.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (22/279)، ((تفسير الماوردي)) (5/445)، ((تفسير الزمخشري)) (4/445)، ((تفسير ابن الجوزي)) (4/218).

(76) ممَّن نقل الإجماعَ على ذلك: ابنُ عطية، والفيروزابادي.

يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (5/216)، ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (1/450).

ونَسَب ابنُ الجوزي إلى الأكثَرينَ القَولَ بأنَّها مَكِّيَّةٌ.

يُنظر: ((تفسير ابن الجوزي)) (4/218).

ذكر ابنُ عطية (٨/ ١٨٧) أنّ سورة الواقعة «مكية بإجماعٍ ممن يُعتدّ بقوله من المفسرين».

ثم نقل قولًا ولم ينسبه، أنّ «فيها آيات مدنية، أو مما نزل في السَّفر».

ثم انتقده –مستندًا إلى عدم ثبوته– قائلًا: «وهذا كله غير ثابت».

مِن أهَمِّ مقاصِدِ السُّورةِ:

تقريرُ البَعثِ والجزاءِ، والتَّذكيرُ بيَومِ القيامةِ، وبيانُ أقسامِ النَّاسِ فيه.

مِن أهمِّ الموضوعاتِ الَّتي اشتَمَلَتْ عليها السُّورةُ:

1- التَّذكيرُ بيومِ القيامةِ، والحَديثُ عن أهوالِها، وبيانُ أصنافِ النَّاسِ في هذا اليومِ، ومآلِ كُلِّ صِنفٍ.

2- الحَديثُ عن مَظاهِرِ قُدرةِ اللهِ تعالى، وسَعةِ رَحمتِه، وعَظيمِ فَضْلِه.

2- تأكيدُ أنَّ القُرآنَ مُنزَّلٌ مِن عندِ اللهِ تعالى، وأنَّه نِعمةٌ أنعَمَ اللهُ بها عليهم فلم يَشكُروها، وكَذَّبوا بما فيه.

3- ذِكرُ مَشهَدِ الاحتِضارِ، وحالِ المتوَفَّينَ وأقسامِهم، وعاقِبةِ كُلِّ قِسمٍ.

سورةُ الواقِعةِ

الآيات (1–9)

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (1) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (2) خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ (3) إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا
(4) وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (5) فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا (6) وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (7) فَأَصْحَابُ
الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (8) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (9)

غَريبُ الكَلِماتِ:

الْوَاقِعَةُ: أي: القيامةُ، والواقِعَةُ لا تُقالُ إلَّا في الشِّدَّةِ والمكروهِ.

لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ: أي: ليس لمجيئها رَدٌّ ولا رُجوعٌ ولا تكذيبٌ، والكاذِبةُ هنا: مَصدَرٌ بمعنى الكَذِبِ، كالخائنةِ، واللَّاغيةِ، والخاطِئةِ، والعافيةِ، والعاقِبةِ.

رُجَّتِ: أي: زُلْزِلَتْ واضطَرَبت، وأصلُ (رجج): يدُلُّ على الاضطِرابِ.

وَبُسَّتِ: أي: فُتِّتَتْ، وقيل: خُلِطَتْ فصارَتْ كالدَّقيقِ المبْسوسِ، وهو الملتوتُ بشيءٍ مِن الماءِ، وقيل: معناه: سِيقَت سَوقًا سَريعًا؛ مِن قَولِهم: انْبَسَّتِ الحيَّاتُ: أي: انسابت انسيابًا سريعًا، وأصلُ (بسس) هنا: فَتُّ الشَّيءِ وخَلْطُه.

هَبَاءً مُنْبَثًّا: أي: غُبارًا مُنتشِرًا مُتَفَرِّقًا كالَّذي يُرى في شُعاعِ الشَّمسِ إذا دَخَل مِنَ الكَوَّةِ، وأصلُ (هبو): يدُلُّ على غَبرةٍ ورِقَّةٍ فيها، وأصلُ (بثث): تفريقُ الشَّيءِ وإظهارُه.

أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً: أي: أصنافًا وأنواعًا ثلاثةً، وأصلُ (زوج): يدُلُّ على مُقارَنةِ شَيءٍ لشَيءٍ.

فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ: أي أصحابُ اليمينِ، والمَيمنةُ: ناحيةُ اليمينِ.

وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ: أي: وأصحابُ الشِّمالِ، وأصلُ (شأم): يدُلُّ على الجانبِ اليَسارِ.

تَفسيرُ الآياتِ:

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (1).

أي: إذا قامت القيامةُ، وتحقَّق وُقوعُها.

كما قال تعالى: فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ * وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ [الحاقة: 13 – 15].

لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (2).

أي: ليس وُقوعُها بكَذِبٍ؛ فهو أمرٌ حَقٌّ واقِعٌ يَقينًا لا مَحالةَ![77]

كما قال تعالى: اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا [النساء: 87].

---

(77) ذكر ابن عطية (٨/ ١٨٨) في معنى: ﴿كَاذِبَةٌ﴾ احتمالين: الأول: «أن يكون مصدرًا؛ كالعاقبة، والعافية، وخائنة الأعين».
ثم وجَّهه بقوله: «فالمعنى: ليس لها تكذيبٌ ولا ردٌّ مَثْنَوِيَّةٌ.
وهذا قول قتادة، والحسن».
والثاني: «أن يكون صفةً لمقدَّر».
ثم وجَّهه بقوله: «كأنه تعالى قال: ليس لِوَقْعَتِها حال كاذبة، ويحتمل الكلام على هذا معنيين: أحدهما: كاذِبَةٌ، أي: مكذوبة فيما أخبر به عنها، وسماها ﴿كَاذِبَةٌ﴾ بهذا، كما تقول: قصة كاذبة، أي: مكذوب فيها.
والثاني: حالٌ كاذبة، أي: لا يمضي وقوعها، كما تقول: فلان إذا حمل لم يكذب».

خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ (3).

أي: تَخفِضُ أقوامًا إلى النَّارِ فيَدخُلونَ الجحيمَ، وإن كانوا في الدُّنيا أعِزَّاءَ، وتَرفَعُ أقوامًا إلى الجنَّةِ فيَنالونَ النَّعيمَ، وإن كانوا في الدُّنيا أذِلَّاءَ!

كما قال تعالى: زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ [البقرة: 212].

وقال سُبحانَه: إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ [النساء: 145].

وقال عزَّ وجلَّ: وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا [الإسراء: 21].

إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا (4).

أي: إذا زُلْزِلَت الأرضُ على سَعَتِها وثِقْلِها، فحُرِّكت تحريكًا شَديدًا، فاهتَزَّت واضطَرَبتْ![78]

كما قال تعالى: إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا [الزلزلة: 1].

---

(78) ذكر ابنُ عطية (٨/ ١٨٨) في معنى الآية عن جمهورٍ من المتأولين: أن «القيامة تنفطر بها السماء والأرض والجبال، وانهدام هذه البنية يرفع طائفة من الأجرام، ويخفض أخرى».
ثم وجَّهه بقوله: «فكأنها عبارة عن شدة الهول والاضطراب».

وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (5).

أي: وفُتِّتَت الجِبالُ على عَظَمتِها وصَلابتِها تَفتيتًا!

كما قال تعالى: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا [طه: 105 – 107].

وقال الله سُبحانَه وتعالى: يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا [المزمل: 14].

فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا (6).

أي: فصارت ذَرَّاتِ غُبارٍ صَغيرةً مُتطايرةً مُتفرِّقةً، كالَّتي تُرَى لدى انعِكاسِ أشِعَّةِ الشَّمسِ في مَوضِعٍ مُظلِمٍ![79]

وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (7).

أي: وصِرْتُم –أيُّها النَّاسُ– أصنافًا ثلاثةً بحَسَبِ أعمالِكم في الدُّنيا.

---

(79) اختُلف في معنى: «الهباء» في هذه الآية على أقوال: الأول: أنه ما يتطاير في الهواء من الأجزاء الدقيقة، ولا يكاد يُرى إلا في الشمس إذا دخلت من كوة.

الثاني: أنه ما يتطاير من يبس النبات.

الثالث: ما يتطاير من حوافر الخيل والدواب.

الرابع: ما يتطاير من شرر النار، فإذا طفئ لم يوجد شيء.

ورجَّح ابنُ عطية (٨/ ١٩٠) القول الأول، فقال: «والقول الأول في الهباء أحسن الأقوال».

ولم يذكر مستندًا.

فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (8).

أي: فالصِّنفُ الأوَّلُ: أصحابُ اليمينِ الَّذين يَدخُلونَ الجنَّةَ، وما أعظَمَ شَأنَ أصحابِ اليَمينِ![80]

وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (9).

أي: والصِّنفُ الثَّاني: أصحابُ الشِّمالِ الَّذين يَدخُلونَ النَّارَ، وما أفظَعَ شأنَ أصحابِ الشِّمالِ!

قال تعالى: وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ [البلد: 19].

---

(80) نقل ابنُ عطية (٨/ ١٩١) قولًا أنّ أصحاب الميمنة: مؤمنون، وهم على يمين العرش.
وأنّ أصحاب المشأمة: كافرون، وهم على شمال العرش.
ثم علَّق على قول مَن قال: أصحاب الميمنة: هم مَن أخذ كتابه بيمينه، وأصحاب المشأمة: من أخذه بشماله.
بقوله: «فعلى هذا ليست نسبة اليمين والشمال إلى العرش».

سورةُ الواقِعةِ

الآيات (10–26)

وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (10) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (11) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (12) ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ
(13) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ (14) عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ (15) مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ (16)
يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ (17) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (18) لَا يُصَدَّعُونَ
عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ (19) وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ (20) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (21) وَحُورٌ
عِينٌ (22) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (23) جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (24) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا
لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا (25) إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا (26)

غَرِيبُ الكَلِماتِ:

ثُلَّةٌ: أي: فِرقةٌ وجَماعةٌ غَيرُ مَحصورةِ العَدَدِ في قِلَّةٍ ولا كَثرةٍ، وأصلُ (ثلل) هنا: يدُلُّ على التَّجمُّعِ.

مَوْضُونَةٍ: أي: مَنسوجةٍ مُتداخِلٍ بعضُها في بَعضٍ، والوَضْنُ: نَسجُ الدِّرْعِ، ويُستَعارُ لكُلِّ نَسجٍ مُحكَمٍ.

مُخَلَّدُونَ: أي: لَا يَموتونَ، مِن الخُلْدِ وهو البقاءُ، أو: يبقونَ على حالِهم لا يَتغيَّرونَ، ولا يَكبَرونَ، ولا يهرَمونَ، والعربُ تقولُ للَّذي لا يشيبُ: مخلَّدٌ، وأصلُ (خلد): يدُلُّ على الثَّباتِ والملازمةِ.

بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ: الأكوابُ جَمْعُ كُوبٍ، وهو الإناءُ المستديرُ الرَّأسِ الَّذي لا عُرْوةَ له ولا خُرطومَ، فإنْ كان له ذلك فهو الإبريقُ، والكأسُ: الإناء فيه الخَمرُ والشَّرابُ، فإن كان فارغًا فليس بكأسٍ، فالكأسُ اسْمٌ يَقعُ لكلِّ إناءٍ معَ شَرابِه.

مَعِينٍ: أي: شرابٍ ظاهرٍ للعيونِ جارٍ، يقالُ: مَعَن الماءُ: أي: جرى، وأصلُ (معن): يدُلُّ على سُهولةٍ في جَرَيانٍ، وقيل: هو مشتقٌّ مِن العينِ، ووزنُه مفعولٌ، فالميمُ زائدةٌ.

لَا يُصَدَّعُونَ: أي: لا تُصَدَّعُ رُؤوسُهم مِن شُرْبِها، والتَّصديعُ: الإصابةُ بالصُّداعِ، وهو وَجَعُ الرَّأسِ النَّاشِئُ عن السُّكرِ، والصَّدعُ: الشَّقُّ في الأجسامِ الصُّلبةِ، كالزُّجاجِ والحَديدِ ونَحوِهما، واستُعيرَ منه الصُّداعُ، وهو شِبهُ الانشِقاقِ في الرَّأسِ مِنَ الوَجَعِ.

وَلَا يُنْزِفُونَ: أي: لا يَسْكَرونَ، ولا تَذْهَبُ عُقولُهم، ولا يَنفَدُ شرابُهم، يقالُ: أنزَفَ الرَّجُلُ: إذا فَنِيَت خَمرُه، وأنزَفَ: إذا ذَهَب عَقْلُه مِنَ السُّكْرِ، وأصلُ (نزف): يدُلُّ على نَفادِ شَيءٍ وانقِطاعٍ.

وَحُورٌ: جمعُ حَوْراءَ، وهي: البَيضاءُ، أو: الشَّديدةُ بَياضِ العَينِ الشَّديدةُ سَوادِها.

عِينٌ: جمعُ عَيْناءَ، وهي نَجْلاءُ العَيْنِ (أي: واسِعَتُها) في حُسْنٍ، وأصلُ (عين): يدُلُّ على حاسَّةِ البَصَرِ.

الْمَكْنُونِ: أي: المَصُونِ المَخزونِ في الصَّدَفِ لم تَمَسَّه الأيدي، وأصلُ (كنن): يدُلُّ على سَترٍ وصَونٍ.

لَغْوًا: أي: باطِلًا مِن القَولِ يَصدُرُ عن خَلَلِ العَقلِ، وأصلُه يدُلُّ على الشَّيءِ لا يُعتَدُّ به.

تَأْثِيمًا: أي: ما يُؤَثِّمهم مِن فِعلٍ أو قَولٍ، مِثلُ الضَّربِ والشَّتمِ وغَيرِهما، وأصلُ (أثم): يدُلُّ على بُطءٍ وتأخُّرٍ؛ لأنَّ ذا الإثمِ بَطيءٌ عن الخَيرِ مُتأخِّرٌ عنه.

تَفسيرُ الآياتِ:

وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (10).

أي: والَّذين يَسبِقونَ إلى الإيمانِ والأعمالِ الصَّالِحاتِ، ويُبادِرونَ إلى فِعلِ الخَيراتِ هم السَّابقونَ إلى دخولِ الجنَّاتِ ونَيلِ الكراماتِ.(81)

كما قال تعالى: أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ [المؤمنون: 61].

أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (11).

أي: أولئك الَّذين يُقرِّبُهم اللهُ تعالى منه.

فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (12).

أي: في جَنَّاتٍ مُشتَمِلةٍ على نِعَمٍ كَثيرةٍ –بَدَنيَّةٍ وقَلبيَّةٍ– لا تَنقَطِعُ أبدًا.

---

(81) قال ابنُ كثير (١٣/ ٣٥١): « إنّ المراد بالسابقين: هم المُبادِرون إلى فعل الخيرات كما أُمروا، كما قال تعالى: ﴿وسارِعُوا إلى مَغْفِرَةٍ مِن رَبِّكُمْ وجَنَّةٍ عَرْضُها السَّمَواتُ والأرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال: ﴿سابِقُوا إلى مَغْفِرَةٍ مِن رَبِّكُمْ وجَنَّةٍ عَرْضُها كَعَرْضِ السَّماءِ والأرْضِ﴾ [الحديد: ٢٢]، فمَن سابق في هذه الدنيا وسبق إلى الخير، كان في الآخرة من السابقين إلى الكرامة، فإنّ الجزاء من جنس العمل، وكما تدين تدان؛ ولهذا قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ المُقَرَّبُونَ فِي جَنّاتِ النَّعِيمِ﴾ [الواقعة: ١١ – ١٢]».

استظهر ابنُ القيم (٨/ ١٠٧) في قوله تعالى: ﴿والسّابِقُونَ السّابِقُونَ﴾ أن تكون «السابقون» الأولى غير الثانية، «ويكون المعنى: السابقون في الدنيا إلى الخيرات هم السابقون يوم القيامة إلى الجنات، والسابقون إلى الإيمان هم السابقون إلى الجنان».

ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (13).

أي: هم جَماعةٌ كثيرةٌ مِنَ الأوَّلينَ.

وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ (14).

أي: وهم عَدَدٌ قَليلٌ مِنَ الآخِرينَ.[82]

عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ (15).

أي: مَجالِسُهم على سُرُرٍ مَنسوجةٍ بالذَّهَبِ وغَيرِه مِنَ الجواهِرِ واللَّآلِئِ!

مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ (16).

---

(82) اختُلف في معنى: ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ وقَلِيلٌ مِنَ الآخِرِينَ﴾ على قولين: الأول: أنّ الأوّلين مَن كان قبل محمد - ﷺ -، والآخرين أمَّته.

الثاني: أنّ الأوّلين من صدر هذه الأمة، والآخرين من هذه الأمة.

ورجَّح ابنُ تيمية (٦/ ١٨٥) القول الأول قائلًا: «والأول أصح».

وانتقد ابنُ كثير (١٣/ ٣٥٣) -مستندًا إلى دلالة القرآن، والعقل- القول الأول، ورجَّح القول الثاني قائلًا: «لأنّ هذه الأُمّة هي خير الأمم بنصّ القرآن، فيبعد أن يكون المُقرّبون في غيرها أكثر منها، اللهم إلا أن يُقابل مجموع الأمم بهذه الأُمّة، والظاهر أنّ المُقرّبين من هؤلاء أكثر من سائر الأمم، والله أعلم.

والقول الثاني في هذا المقام هو الراجح، وهو أن يكون المراد بقوله: ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ﴾ أي: من صدر هذه الأُمّة، ﴿وقَلِيلٌ مِنَ الآخِرِينَ﴾ أي: من هذه الأُمّة».

ونقل ابنُ عطية (٨/ ١٩٢ - ١٩٣) رواية «عن عائشة أنها تأوَّلت أنّ الفريقين في أُمّة كلّ نبي هي في الصدر ثُلّة، وفي آخر الأمة قليل».

أي: متَّكِئِينَ على تلك السُّرُرِ مُتقابِلِينَ بوُجوهِهم، لا يَنظُرُ بَعضُهم إلى قَفا بَعضٍ؛ فليس أحَدٌ منهم وراءَ أحَدٍ!

قال تعالى: إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ * وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ [الحجر: 45 – 47].

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ (17).

أي: يَدورُ عليهم لِخدمتِهم وِلدانٌ صِغارٌ، لا يَهرَمونَ ولا يموتونَ![83]

كما قال الله تبارك وتعالى: وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا [الإنسان: 19].

بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (18).

بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ.

---

(83) اختُلف في معنى: ﴿مُخَلَّدُونَ﴾ في هذه الآية على قولين: الأول: أنهم وِلدان على سنٍّ واحدة، لا يتغيَّرون ولا يموتون.
الثاني: مُقرَّطون مُسَوَّرون.
الثالث: مُنَعَّمون.
ورجَّح ابنُ جرير (٢٢/ ٢٩٥) القول الأول مستندًا إلى اللغة، وهو قول مجاهد، ومحمد بن السّائِب، ومقاتل، وعلَّل ذلك بقوله:
«لأن ذلك أظهر معنييه، والعرب تقول للرجل إذا كبر ولم يَشْمَط: إنه لَمُخَلَّدٌ».
ونحوه قال ابنُ عطية (٨/ ١٩٤).

أي: يَطوفُ الوِلْدانُ عليهم بأكوابٍ مُستديرةٍ لا خراطيمَ لها ولا آذانَ، وأباريقَ يَبرُقُ لَونُها مِن صَفائِها، لها خراطيمُ وآذانٌ.

وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ.

أي: ويَطوفُ الوِلْدانُ عليهم بكُؤوسٍ مِن خَمرٍ ظاهِرةٍ جاريةٍ تَنبُعُ كما يَنبُعُ الماءُ، بلا انقِطاعٍ!

كما قال تعالى: يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ * بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ * لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ [الصافات: 45 – 47].

لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ (19).

لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا.

أي: لا يَنشَأُ عن شُربِهم مِن تلك الخَمرِ صُداعٌ في رُؤوسِهم.[84]

(84) نقل ابنُ عطية (٨/ ١٩٤) في معنى: ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ عن قوم أنّ المعنى: «لا يتفرقون عنها».
ثم وجَّهه بقوله: «بمعنى: لا تُقطَع عنهم لذتهم بسبب من الأسباب، كما يفرق أهل خمر الدنيا بأنواع من التفريق، وهذا كما قال: «يتصدَّعُ السحاب عن المدينة...» الحديث».

وَلَا يُنزِفُونَ.

أي: لا يَسْكَرُ بها شارِبُوها، فتَزولَ عُقولُهم، ولا ينفَدُ شرابُهم.(85)

القِراءاتُ ذاتُ الأَثَرِ في التَّفسيرِ:

1- قِراءةُ: وَلَا يُنزِفُونَ بكَسرِ الزَّايِ، أي: لا يَسكَرونَ بها، أو: لا يَنفَدُ شَرابُهم.(86)

---

(85) ذكَر الفرَّاءُ أنَّ يُنْزِفُونَ لها معنيانِ: الأوَّلُ: مِن أنزفَ الرَّجلُ إذَا فنِيتْ خَمْرُه، والثَّاني: مِن أنزفَ إذا ذهَب عقلُه.

يُنظر: ((معاني القرآن)) للفراء (2/ 385).

وممَّن اختار أنَّه على قراءةِ الكسرِ فالمعنى: لا يَنفَدُ شَرابُهم، ولا تفنَى خمرُهم: ابنُ جرير، والثعلبيُّ، والسمعاني، والبغوي، والقرطبي، والنسفي، والخازن، والعليمي.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (22/299)، ((تفسير الثعلبي)) (8/144)، ((تفسير السمعاني)) (5/ 347)، ((تفسير البغوي)) (7/5)، ((تفسير القرطبي)) (17/203)، ((تفسير النسفي)) (3/421)، ((تفسير الخازن)) (4/236)، ((تفسير العليمي)) (6/ 504).

وممن اختار أنَّ المعنَى: لا تذهبُ عقولُهم، ولا يسكرونَ: جلالُ الدِّين المحلِّي، وأبو السُّعودِ، والشَّوكاني، والقنوجي، والقاسمي، والسعدي، وابنُ عاشور.

يُنظر: ((تفسير الجلالين)) (ص: 714)، ((تفسير أبي السعود)) (8/191)، ((تفسير الشوكاني)) (5/180) ((تفسير القنوجي)) (13/363)، ((تفسير القاسمي)) (9/121)، ((تفسير السعدي)) (ص: 833)، ((تفسير ابن عاشور)) (27/ 295).

وممَّن جمَع بينَ المعنيينِ السَّابقينِ: السَّمرقندي، فقال: (لا تَذْهبُ عقولُهم، ولا ينفَدُ شرابُهم).

((تفسير السمرقندي)) (3/392).

(86) قرأ بها عاصِمٌ، وحمزةُ، والكِسائيُّ، وخَلَفٌ.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (2/357).

ويُنظر لمعنى هذه القِراءةِ: ((تفسير ابن جرير)) (22/299)، ((معاني القراءات)) للأزهري (2/318)، ((الحجة في القراءات السبع)) لابن خالويه (ص: 302)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 608)، ((تفسير السمعاني)) (5/347)، ((تفسير الرسعني)) (6/386).

2- قِراءةُ: وَلَا يُنْزَفُونَ بفَتحِ الزَّاي، قيل: لا تذْهبُ عُقولهم. أو: لا يسكرون. وقيل: لا تَتَغَيَّرُ ألوانُهم، وَقيل غيرُ ذلك.[87]

وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ (20).

أي: ويَطوفُ عليهم الوِلْدانُ بفاكِهةٍ مِمَّا يختارونه مِن أصنافِ الفَواكِهِ الكَثيرةِ في الجَنَّةِ.

وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (21).

أي: ويَطوفُ الوِلْدانُ عليهم بلَحْمِ طَيرٍ مِمَّا تَرغَبُ أنفُسُهم في أكْلِه.

قال تعالى: وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ [الطور: 22].

---

(87) قرأ بها الباقون.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (2/357).

ويُنظر لمعنى هذه القِراءةِ: ((تفسير ابن جرير)) (22/299)، ((معاني القراءات)) للأزهري (2/318)، ((الحجة في القراءات السبع)) لابن خالويه (ص: 302)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 609)، ((تفسير السمعاني)) (5/347)، ((تفسير الرسعني)) (6/386).

وعن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عنه: ((أنَّ النَّبيَّ – ﷺ – سُئِلَ عن الكَوثَرِ، فقال: نَهَرٌ أعطانِيه رَبِّي، أشَدُّ بَياضًا مِنَ اللَّبَنِ، وأحلى مِنَ العَسَلِ، وفيه طَيرٌ كأعناقِ الجُزُرِ![88] فقال عُمَرُ: يا رَسولَ اللهِ، إنَّ تلك لَطَيرٌ ناعِمةٌ! فقال: أكَلَتُها أنعَمُ منها يا عُمَرُ!)).[89]

وَحُورٌ عِينٌ (22).

أي: ولهم نِساءٌ بِيضٌ، شَديدٌ سوادُ أعيُنِهنَّ وبَياضُها، واسِعاتُ الأعيُنِ معَ حُسنِها.[90]

---

(88) الجُزُرُ: جَمعُ جَزُورٍ، وهو: ما يَصلُحُ للذَّبحِ مِنَ الإبِلِ.

يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (9/ 3591).

(89) أخرجه الترمذي (2542)، والنَّسائي في ((السنن الكبرى)) (11703)، وأحمد (13306) واللَّفظُ له.

قال الترمذي: (حَسَنٌ غريبٌ).

وقال الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (2542): (حَسَنٌ صَحيحٌ).

وصَحَّح إسنادَه شُعَيبٌ الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (30/21).

(90) الحُورُ جَمعُ حوراءَ، قيل: هي المرأةُ البيضاءُ النَّقيَّةُ البياضِ.

وقيل: الحَوراءُ: الشَّديدةُ بَياضِ بَياضِ العَينِ، والشَّديدةُ سَوادِ سَوادِ العَينِ.

وقيل جمعًا بينَ القولينِ السابقينِ: هي البيضاءُ القويَّةُ بَياضِ بياضِ العَينِ، وسوادِ سَوادِها.

والعِينُ: جمعُ عَيناءَ، وهي العظيمةُ العَينِ في حُسنٍ وسَعةٍ.

وقيل: المرادُ بالعِينِ حِسانُ الأعيُنِ.

ويُنظَرُ ما تقدَّمَ في سورة (الدُّخَان) الآية (54).

القِراءاتُ ذاتُ الأثَرِ في التَّفسيرِ:

1– قِراءةُ وَحُورٍ عِينٍ بالخَفضِ، قيل: المعنى: ويُطافُ عليهم بِحُورٍ عِينٍ. وقيل: المعنى: يُنعَّمونَ بحُورٍ عِينٍ، أو يُكرَمونَ بحُورٍ عِينٍ. وقيل هي عَطفٌ على قَولِه تعالى: فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ [الواقعة: 12]، على تقديرِ: أولئك المُقَرَّبونَ في جنَّاتِ النَّعيمِ، وفي حُورٍ عِينٍ، أي: في مُقارَنةِ حُورٍ عِينٍ، أو مُباشَرةِ حُورٍ عِينٍ.(91)

2– قِراءةُ: وَحُورٌ عِينٌ بالرَّفعِ، على معنى: ولهم حُورٌ عِينٌ، أو: وعِندَهم حُورٌ عِينٌ. وقيل: هو مَعطوفٌ على وِلْدَانٌ، والمعنى: ويَطوفُ عليهم حُورٌ عِينٌ.(92)

---

(91) قرأ بها أبو جعفرٍ، وحمزةُ، والكِسائيُّ.
يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (383/2).
ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((تفسير ابن جرير)) (302/22)، ((الحجة في القراءات السبع)) لابن خالويه (ص: 340)، ((معاني القراءات)) للأزهري (49/3)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 695)، ((الوسيط)) للواحدي (234/4)، ((تفسير ابن عطية)) (242/5).
وقال ابنُ كثير: (وقِراءةُ الجَرِّ تحتَمِلُ مَعنيَينِ؛ أحَدُهما: أن يكونَ الإعرابُ على الإتْباعِ لِما قَبْلَه؛ لِقَولِه: يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ * لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ * وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ* وَحُورٍ عِينٍ، كما قال: وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ [المائدة: 6] [على قراءةِ الجرِّ]، وكما قال: عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٍ وَإِسْتَبْرَقٌ [الإنسان: 21].
[على قراءةِ الجرِّ].
والاحتِمالُ الثَّاني: أن يكونَ مِمَّا يَطوفُ به الوِلْدانُ المخَلَّدونَ عليهم: الحُورُ العِينُ، ولكِنْ يكونُ ذلك في القُصورِ، لا بيْنَ بَعضِهم بَعضًا، بل في الخيامِ يطوفُ عليهم الخُدَّامُ بالحُورِ العِينِ.
واللهُ أعلَمُ).
((تفسير ابن كثير)) (524/7).
(92) قرأ بها الباقون.
يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (383/2).

كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (23).

أي: وهُنَّ في بَياضِهِنَّ وجَمالِهِنَّ وصَفائِهِنَّ يُشبِهْنَ الدُّرَّ الأبيَضَ الصَّافيَ المُتَلألِئَ المَستورَ عن لَمسِ الأيدي، وإصابةِ الغُبارِ والشَّمسِ والرِّياحِ!

جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (24).

أي: إنَّما كانت جَنَّاتُ النَّعيمِ ثوابًا لأولئك السَّابِقينَ المُقَرَّبينَ؛ بسَبَبِ أعمالِهم الصَّالحِةِ الَّتي كانوا يعمَلونَها في الدُّنيا.

قال تعالى: وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ [الأعراف: 43].

وقال سُبحانَه: فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [السجدة: 17].

لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا (25).

أي: لا يَسمَعونَ في تلك الجَنَّاتِ كَلامًا باطِلًا لا يَنفَعُهم، ولا يَسمَعونَ فيها كَلامًا يَجلِبُ عليهم الإثمَ، فيَضُرُّهم.

قال تعالى: لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا [النبأ: 35].

ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((تفسير ابن جرير)) (302/22)، ((الحجة في القراءات السبع)) لابن خالويه (ص: 340)، ((معاني القراءات)) للأزهري (49/3)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 695)، ((الوسيط)) للواحدي (234/4)، ((تفسير ابن عطية)) (242/5)، ((تفسير ابن عاشور)) (295/27).

وقال سُبحانَه: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾ [الغاشية: 10، 11].

﴿إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ (26).

أي: إنَّما يَسمَعُ أهلُ الجَنَّةِ فيها التَّسليمَ، والقَولَ السَّالِمَ مِنَ اللَّغْوِ والتَّأثيمِ.[93]

كما قال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا﴾ [مريم: 62].

(93) ذكر ابنُ عطية (٨/ ١٩٧) أنّ الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ استثناء متصل، ثم نقل عن قوم: أنه منقطع، و﴿سَلَامًا﴾ نعت للقيل.

ثم وجَّهه بقوله: «كأنه تعالى قال: إلا قيلًا سالمًا مِن هذه العيوب وغيرها».

ونقل عن الزّجّاج: أنّ ﴿سَلَامًا﴾ مصدر، وناصبه ﴿قِيلًا﴾.

ثم وجَّهه بقوله: «كأنه تعالى ذكر أنهم يقول بعضهم لبعض: سَلَامًا سَلَامًا».

سورةُ الواقِعةِ

الآيات (27–40)

وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (27) فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ (28) وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ (29)
وَظِلٍّ مَمْدُودٍ (30) وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ (31) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (32) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (33)
وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ (34) إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً (35) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (36) عُرُبًا أَتْرَابًا (37)
لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ (38) ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (39) وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ (40)

غَرِيبُ الكَلِماتِ:

سِدْرٍ: أي: شَجَرِ نَبْقٍ.

مَخْضُودٍ: أي: مَنْزوعِ الشَّوكِ، والخَضْدُ: كَسرُ الشَّيءِ اللَّيِّنِ، وأصلُ (خضد): يدُلُّ على تَثَنٍّ في شَيءٍ لَيِّنٍ.

وَطَلْحٍ:الطَّلحُ: شَجَرٌ ذو شَوكٍ، له ظِلٌّ بارِدٌ طَيِّبٌ. وقيل: المرادُ به هنا المَوْزُ.

مَنْضُودٍ: أي: مُتراكِمٍ بَعضُه على بَعضٍ، قد جُمِع بعضُه إلى بعضٍ، أو نُضِدَ بالحِمْلِ (الثَّمرِ) مِن أوَّلِه إلى آخِرِه، فليست له سُوقٌ بارزةٌ، والنَّضْدُ هو الرَّصُّ، والمُنَضَّدُ: المرصوصُ، وأصلُ (نضد): يدُلُّ على ضَمِّ شَيءٍ إلى شيءٍ في اتِّساقٍ وجَمعٍ.

مَسْكُوبٍ: أي: مَصبوبٍ جارٍ غَيرِ مُنقَطِعٍ، وأصلُ (سكب): يدُلُّ على صَبِّ الشَّيءِ.

عُرُبًا: جَمعُ عَرُوبٍ: وهي المُتَحَبِّبةُ إلى زَوجِها، الحَسَنةُ التَّبَعُّلِ، وأصلُ (عرب) هنا: يدُلُّ على النَّشاطِ وطِيبِ النَّفْسِ، والإبانةِ والإفصاحِ؛ فالمرأةُ العَروبُ: ضَحَّاكةٌ طَيِّبةُ النَّفْسِ، تُفصِحُ عن حُبِّها لِزَوجِها.

أَتْرَابًا: أي: أقرانًا مُستَوياتٍ على سِنٍّ واحدةٍ، والتِّرْبُ: هو الَّذي مَسَّ التُّرابَ مع تِرْبِه في وَقتٍ واحِدٍ، وأصلُ (ترب) هنا: يدُلُّ على التَّساوي.

تَفسيرُ الآياتِ:

وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (27).

أي: وأصحابُ اليَمينِ ما أعظَمَ شَأنَهم! وما أحسَنَ حالَهم!

فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ (28).

أي: هم في شَجَرِ نَبْقٍ لا شَوكَ فيه، مُثقَلةٍ أغصانُه بالثَّمَرِ الكثيرِ.(94)

---

(94) اختُلف في معنى «السدر المخضود» على قولين: الأول: هو الذي لا شوك فيه.

الثاني: هو الموقَر حَمْلًا.

ورجَّح ابنُ عطية (٨/ ١٩٧) القول الأول، وهو قول ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة وما في معناه، فقال: «وهو الصواب».

ولم يذكر مستندًا.

وذكر ابنُ القيم (٣/ ١٠٩) أنّ أصحاب القول الأول احتجوا بحجتين: «أحدهما: أنّ الخَضد في اللغة: القطع، وكلّ رطب قضبته فقد خَضدته، وخضدت الشجر إذا قطعت شوكه، فهو خضيد ومخضود، ومنه الخضد على مثال الثمر، وهو كلّ ما قطع من عود رطب خضد بمعنى: مخضود كقبض وسلب، والخضاد شجر رخو لا شوك له».

والثانية: استشهادهم بحديث أبي أمامة، وعتبة بن عبد الله السلمي الواردين في تفسير الآيات، ثم ذكر بأنّ أصحاب القول الثاني أُنكِر عليهم قولهم بأنه «لا يُعرف في اللغة الخضد بمعنى: الحمل».

ثم استدرك على إنكارهم بقوله: «ولم يُصب هؤلاء الذين أنكروا هذا القول، بل هو قول صحيح وأربابه ذهبوا إلى أنّ الله لما خضد شوكه وأذهبه، وجعل مكان كلّ شوكة ثمرة أُوقرت بالحمل، والحديثان المذكوران يجمعان القولين.

وكذلك قول من قال المخضود: الذي لا يعقر اليد، ولا يرد اليد عنه شوك ولا أذًى فيه.

فسّره بلازم المعنى، وهكذا غالب المفسرين يذكرون لازم المعنى المقصود تارة، وفردًا من أفراده تارة، ومثالًا من أمثلته، فيحكيها الجمّاعون للغثّ والسمين أقوالًا مختلفة، ولا اختلاف بينها».

وعلَّق ابنُ كثير (١٣/ ٣٦٣) على القولين بقوله: «والظاهر أن المراد هذا وهذا، فإنّ سِدر الدنيا كثير الشوك قليل الثمر، وفي الآخرة على العكس من هذا لا شوك فيه، وفيه الثمر الكثير الذي قد أثقل أصله».

وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ (29).

أي: وفي شَجَرِ طَلَحٍ بلا شَوكٍ،[95] ذي ثَمَرٍ مَنظومٍ مُتراكِمٍ ومُتراصٍّ بَعضُه مع بَعضٍ، على تَرتيبٍ في غايةِ الحُسنِ.

وَظِلٍّ مَمْدُودٍ (30).

أي: وهُم في ظِلٍّ دائِمٍ باقٍ لا يتقَلَّصُ أو يَزولُ.

كما قال تعالى: وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا [النساء: 57].

وقال سُبحانَه: أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا [الرعد: 35].

وقال عزَّ وجَلَّ: إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ [المرسلات: 41].

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، عن النَّبيِّ - ﷺ -، قال: ((إنَّ في الجَنَّةِ شَجَرةً يَسيرُ الرَّاكِبُ في ظِلِّها مِئةَ عامٍ لا يَقطَعُها، واقرؤُوا إنْ شِئتُم: وَظِلٍّ مَمْدُودٍ)).[96]

---

(95) عن علي بن أبي طالب –من طريق الحسن بن سعد– في قوله: ﴿وطَلْحٍ مَنضُودٍ﴾، قال: هو المَوْز.
أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٢٧٠، وهناد (١١٢)، وابن جرير ٢٢/ ٣١١.
وعزاه السيوطي إلى الفريابي، وعبد بن حميد، وابن مردويه.
علَّق ابنُ القيم (٣/ ١١٠) على قول علي بن أبي طالب – رضي الله عنهما – وما في معناه بقوله: «والظاهر أنّ مَن فسّر الطّلح المنضود بالموز إنما أراد التمثيل به؛ لحُسن نضده، وإلا فالطّلح في اللغة: هو الشجر العظام من شجر البوادي».

(96) رواه البخاريُّ (4881) واللَّفظُ له، ومسلمٌ (2826).
ورواه البخاريُّ (3251) أيضًا مِن حديثِ أنَسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللهُ عنه.

وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ (31).

أي: وفي ماءٍ مَصبوبٍ جارٍ مِن غيرِ أُخدودٍ، لا ينقطِعُ.

وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (32).

أي: وفي فَواكِهَ كثيرةٍ مُتنَوِّعةٍ.

كما قال تعالى: مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ [ص: 51].

لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (33).

أي: لا تَنقَطِعُ عنهم تلك الفَواكِهُ في وَقتٍ مِنَ الأوقاتِ، ولا يَمنَعُهم مِن تَناوُلِها مانِعٌ أبَدًا.

عن عبدِ اللهِ بنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: ((خَسَفَت الشَّمسُ على عَهدِ رَسولِ اللهِ - ﷺ -، فصَلَّى، قالوا: يا رَسولَ اللهِ، رَأَيْناك تناوَلْتَ شَيئًا في مَقامِك، ثمَّ رَأَيناك تكَعْكَعْتَ![97] قال: إنِّي أُريتُ الجَنَّةَ، فتناوَلْتُ منها عُنقودًا، ولو أخَذْتُه لأكَلْتُم منه ما بَقِيَت الدُّنيا!))[98].

---

(97) تَكَعْكَعْتَ: أي: توقَّفْتَ وأحجَمْتَ وتأخَّرْتَ إلى وراءٍ.
يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (4/180)، ((شرح النووي على مسلم)) (6/213).
(98) رواه البخاري (748) واللَّفظُ له، ومسلم (907).

وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ (34).

أي: وهم في فُرُشٍ عاليةٍ مُرتَفِعةٍ.(99)

إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً (35).

أي: إنَّا خَلَقْنا نِساءَ أهلِ الجَنَّةِ خَلْقًا فأوجَدْناهنَّ.(100)

(99) نقل ابنُ عطية (٨/ ١٩٨) في معنى الآية عن أبي عبيدة: أن المراد بالفُرُش: النســـاء، و﴿مَرْفُوعَةٍ﴾ معناه: في الأقدار والمنازل.

وانتقده ابنُ القيم (حادي الأرواح ص ٢٢٥) مســتندًا إلى اللغة، فقال: «ولكن قوله: ﴿مَرْفُوعَةٍ﴾ يأبى هذا، إلا أن يقال: المراد: رِفعة القدر.

وقد تقدم تفسير النبي - ﷺ - للفُرُش وارتفاعها.

فالصواب أنها الفُرُش نفسها، ودلّت على النساء لأنها محلهن غالبًا».

(100) نقل ابنُ عطية (٨/ ١٩٩) في معنى الآية عن قتادة أنّ «الضمير عائد على الحور العين المذكورات قبل».

ثم انتقده -مستندًا إلى الدلالات العقلية- قائلًا: «وهذا فيه بُعد؛ لأنّ تلك قصة قد انقضت جملة».

ثم نقل عن أبي عبيدة قوله: «قد ذكَرَهُنَّ في قوله تعالى: ﴿وفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾ فلذلك ردَّ الضـــمير وإن لم يتقدم ذكر لدلالة المعنى على المقصد».

ثم وجَّهه بقوله: «وهذا كقوله تعالى: ﴿حَتّى تَوارَتْ بِالحِجابِ﴾ [ص: ٣٢] ونحوه».

قال مقاتل بن ســليمان: ﴿إنّا أنْشَــأْناهُنَّ إنْشــاءً﴾، يعني: ما ذُكِر مِن الحُور العِين قبل ذلك، فنَعتهنّ في التقديم، يعني: نشــأ أهل الدنيا العُجز الشّمط، يقول: خلَقهن في الآخرة خلْقًا بعد الخلق الأول في الدنيا.

فسير مقاتل بن سليمان ٤/ ٢١٩.

علَّق ابنُ القيم (٣/ ١١٠) على قول مقاتل بقوله: «ويؤيد هذا التفسير حديث أنس المرفوع: «هنّ عجائزكم العُمْش الرُّمْص»... ويؤيده...».

ثم ذكر حديث عائشــة الوارد في الآثار المتعلقة بالآية وما في معناهما، ثم نقل عن مقاتل قولًا آخر وأنه اختيار الزجاج «أنهن الحُور العين التي ذكرهن، قيل: أنشأهن الله - عز وجل - لأوليائه لم يقع عليهن ولادة».

ثم رجَّح أن «الظاهر أنّ المراد: أنشأهن الله تعالى في الجنة إنشاء.

فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (36).

أي: فجَعَلْناهنَّ أبكارًا عَذارى.

عُرُبًا أَتْرَابًا (37).

أي: جَعَلْناهُنَّ مُظهِراتٍ شِدَّةَ مَحبَّتِهنَّ لأزواجِهنَّ، وجعَلْناهُنَّ على سِنٍّ واحِدةٍ في غايةِ الشَّبابِ.[101]

كما قال تعالى: وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ [ص: 52].

وقال سُبحانَه: وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا [النبأ: 33].

ويدل عليه وجوه: أحدها: أنه قد قال في حقّ السابقين: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدانٌ مُخَلَّدُونَ﴾ إلى قوله: ﴿كَأَمْثالِ اللُّؤْلُؤِ المَكْنُونِ﴾، فذكر سُررهم وآنيتهم وشرابهم وفاكهتهم وطعامهم وأزواجهم من الحور العين، ثم ذكر أصحاب الميمنة وطعامهم وشرابهم وفرشهم ونساءهم، والظاهر أنهن مثل نساء من قبلهن خلقهن في الجنة.

الثاني: أنه سبحانه قال: ﴿إِنّا أَنْشَأْناهُنَّ إِنْشاءً﴾، وهذا ظاهر أنه إنشاء أول لا ثان؛ لأنه سبحانه حيث يريد الإنشاء الثاني يقيّده بذلك، كقوله: ﴿وأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الأُخرى﴾ [النجم: ٤٧].

الثالث: أنّ الخطاب بقوله: ﴿وكُنْتُمْ أزْواجًا ثَلاثَةً﴾ إلى آخره للذكور والإناث، والنشأة الثانية أيضًا عامة للنوعين، وقوله: ﴿إنّا أنْشَأْناهُنَّ إنْشاءً﴾، ظاهره اختصاصهن بهذا الإنشاء، وتأمّل تأكيده بالمصدر، والحديث لا يدل على اختصاص العجائز المذكورات بهذا الوصف، بل يدل على مشاركتهن للحور العين في هذه الصفات المذكورة، فلا يتوهم انفراد الحور العين عنهن بما ذكر من الصفات، بل هي أحقّ به منهن، فالإنشاء واقع على الصنفين».

(101) قال ابنُ عطية (٨/ ٢٠٠): «وقد تجيء العَروب صفة ذمّ على غير هذا المعنى، وهي الفاسدة الأخلاق، كأنها عرَّبت، ومنه قول الشاعر:

وما بَدَلٌ من أُمّ عثمان سَلْفَعٌ منَ السُّود ورْهاءُ العِنانِ عَرِيب».

لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ (38).

أي: أنشَأْنا تلك النِّسوةَ على تلك الصِّفاتِ لأصحابِ اليَمينِ.

ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (39).

أي: وأصحابُ اليَمينِ جَماعةٌ كَثيرةٌ مِنَ الأوَّلِينَ.

وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ (40).

أي: وجَماعةٌ كَثيرةٌ مِنَ الآخِرينَ.

سورةُ الواقِعةِ

الآيات (41–56)

وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ (41) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (42) وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ
(43) لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ (44) إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ (45) وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى
الْحِنْثِ الْعَظِيمِ (46) وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (47)
أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (48) قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ (49) لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ
(50) ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (51) لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ (52) فَمَالِئُونَ
مِنْهَا الْبُطُونَ (53) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (54) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ (55) هَذَا نُزُلُهُمْ
يَوْمَ الدِّينِ (56)

غَرِيبُ الكَلِماتِ:

سَمُومٍ: أي: رِيحٍ حارَّةٍ تدخُلُ مَسامَّ الإنسانِ، وأصلُ (سمم): يدُلُّ على مَدخَلٍ في الشَّيءِ.

وَحَمِيمٍ: أي: ماءٍ حارٍّ شَديدِ الحَرارةِ، وأصلُ (حمم) هنا: يدُلُّ على الحَرارةِ.

يَحْمُومٍ: أي: دُخَانٍ شَديدِ السَّوادِ، وأصلُ (حمم) هنا: يدُلُّ على الاسوِدادِ.

الْحِنْثِ الْعَظِيمِ: أي: الذَّنْبِ العَظيمِ، وهو الشِّركُ، وأصلُ (حنث): يدُلُّ على الإثْمِ والحَرَجِ.

زَقُّومٍ: الزَّقُّومُ: ثَمَرُ شَجَرةٍ خَبيثةٍ مُرَّةٍ كَريهةِ الطَّعمِ، يُكرَهُ أهلُ النَّارِ على تَناوُلِه، فهم يتزَقَّمونَه على أشَدِّ كراهيةٍ، ومنه قَولُهم: تزقَّمَ الطَّعامَ: إذا تناوَلَه على كُرهٍ ومَشقَّةٍ شَديدةٍ.

الْهِيمِ: أي: الإبِلِ العِطاشِ الَّتي أصابَها مَرَضٌ لا تَرْوَى معه مِنَ الماءِ، وأصلُ (هيم): يدُلُّ على عَطَشٍ شَديدٍ.

نُزُلُهُمْ: أي: رِزْقُهم وطَعامُهم، والنُّزُلُ: ما يُعَدُّ للضَّيفِ مِنَ الزَّادِ عندَ قُدومِه.

تَفسيرُ الآياتِ:

وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ (41).

أي: وأصحابُ الشِّمالِ ما أفظَعَ شَأنَهم! وما أسوَأَ حالَهم!

فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (42).

أي: هم في رِيحٍ شَديدةِ الحَرارةِ، وشَرابٍ بَالِغِ الغايةِ في الحَرارةِ!

كما قال تعالى: فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ [الحج: 19، 20].

وقال سُبحانَه: وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ [محمد: 15].

وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ (43).

أي: وفي ظِلٍّ مِن دُخَانٍ شَديدِ السَّوادِ!

قال تعالى: انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ * انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ * لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ [المرسلات: 29 – 31].

لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ (44).

أي: وهو ظِلٌّ غيرُ باردٍ، وليس بحَسَنِ المَنظَرِ!

إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ (45).

أي: إنَّ أصحابَ الشِّمالِ كانوا في الدُّنيا قبْلَ أن يُصيبَهم هذا العَذابُ في تنَعُّمٍ وإسرافٍ وإقبالٍ على الشَّهَواتِ؛ فاستحَقُّوا تلك العُقوباتِ.

قال تعالى: وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا [المزمل: 11].

وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ (46).

أي: وكانوا في الدُّنيا مُستَمِرِّينَ على الإقامةِ على الذَّنْبِ العَظيمِ، وهو الشِّرْكُ باللهِ تعالى.

وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (47).

أي: وكانوا يَقولونَ إنكارًا للبَعثِ يومَ القيامةِ: أئِذا مِتْنا وصِرْنا في قُبورِنا تُرابًا وعِظامًا أَئِنَّا لَمَبعوثونَ أحياءً مِن بَعدِ ذلك؟!

أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (48).

أي: وهل يُبعَثُ أيضًا آباؤُنا الأوَّلونَ؟!

قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ (49).

أي: قُلْ -يا محمَّدُ- لأولئك المُنكِرينَ للبَعثِ: إنَّ الأوَّلينَ والآخِرينَ مِنكم أو مِن غَيرِكم.

لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (50).

أي: لَمَجموعونَ بالبَعثِ والحَشرِ إلى وَقتٍ مُحَدَّدٍ عِندَ اللهِ تعالى، وهو يومُ القيامةِ.

قال تعالى: ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ [هود: 103].

ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (51).

أي: ثمَّ إنَّكم بعْدَ بَعثِكم أيُّها الضَّالُّونَ عن طَريقِ الهُدى، المكذِّبونَ بالحَقِّ.

لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ (52).

أي: لَآكِلونَ مِن شَجَرٍ كَريهِ المَنظَرِ والطَّعْمِ والرَّائِحةِ!

كما قال تعالى: أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ * إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ * فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ [الصافات: 62 – 66].

فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (53).

أي: فمَالِئونَ مِن شَّجَرِ الزقُّومِ بُطونَكم؛ لشِدَّةِ جُوعِكم، واضطِرارِكم للأكْلِ.

فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (54).

أي: فشارِبونَ على هذا الزَّقُّومِ الَّذي مَلأْتُم به بُطونَكم شَرابًا مُغْلًى قد بَلَغ النِّهايةَ في الحَرارةِ!

كما قال تعالى: ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ * ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ [الصافات: 67، 68].

فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ (55).

أي: فشارِبونَ مِن هذا الحَميمِ شُربَ الإبِلِ العِطاشِ الَّتي أصابَها مَرَضٌ لا تَرْوَى معه مِن الماءِ!

هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ (56).

أي: هذا الطَّعامُ والشَّرابُ مِن الزَّقُّومِ والحَميمِ هو ضيافةُ أولئك الضَّالِّينَ المُكَذِّبينَ، المُعَدَّةُ لهم عندَ مَقْدَمِهم، وذلك في يَومِ القيامةِ الَّذي يُحاسِبُ اللهُ فيه عِبادَه، ويُجازيهم على أعمالِهم.

سورةُ الواقِعةِ

الآيات (57–62)

نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ (57) أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (58) أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ
(59) نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (60) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ
فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (61) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ (62)

غَرِيبُ الكَلِماتِ:

مَا تُمْنُونَ: أي: ما تَقْذِفونَ وتَصبُّونَ في أرحامِ النِّساءِ مِن المَنِيّ؛ مِن قَولِك: أَمْنَى الرَّجُلُ: إذا خرَجَ منه المَنِيُّ، والمَنِيُّ: الماءُ الَّذي يُخلَقُ ويُقدَّرُ منه الوَلَدُ، وأصلُ (مني): يدُلُّ على تقديرِ شَيءٍ، وقيل: سُمِّي المنيُّ مَنِيًّا لأنَّه يُمْنَى، أي: يُراقُ.

النَّشْأَةَ الْأُولَى: أي: ابتِداءَ الخَلْقِ، وأصلُ (نشأ): يدُلُّ على ارتِفاعِ شَيءٍ.

تَفسيرُ الآياتِ:

نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ (57).

أي: نحن خَلَقْناكم -أيُّها الكفرةُ المكذِّبونَ بالبعثِ - أوَّلَ مرَّةٍ مِنَ العَدَمِ، فهَلَّا تُصَدِّقون خالِقَكم في إخبارِه ببَعْثِكم أحياءً يومَ القيامةِ بعْدَ موتِكم؟ فالَّذي قَدَر على ابتِداءِ خَلْقِكم قادِرٌ على إعادتِكم بطَريقِ الأَولى.

قال الله تعالى: كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ [الأنبياء: 104].

وقال الله سُبحانَه: وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ [الروم: 27].

أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (58).

أي: أفرأيتُم ما تَقْذِفونَ مِنَ المَنِيِّ في أرحامِ نِسائِكم؟

قال تعالى: فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ * إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ [الطارق: 5 - 8].

أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (59).

أي: أأنتُم تَخلُقونَ ذلك المَنِيَّ أم نحن الخالِقونَ له؟

نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (60).

نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ.

أي: نحن قَضَيْنا بَيْنَكم الموتَ، فما مِن إنسانٍ يُفلِتُ مِنَ الموتِ في الوَقتِ الَّذي قدَّرَه اللهُ تعالى لذلك.(102)

كما قال تعالى: كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ [آل عمران: 185].

وقال سُبحانَه: وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ [الأعراف: 34].

... وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (60) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (61).

أي: وما نحن بمَغلوبِينَ ولا عاجِزينَ على تَبديلِ صُوَرِكم وأشخاصِكم، وأن نُنشِئَكم نَشأةً أُخرى في خِلْقةٍ لا تَعلَمونَها مِنَ الصُّوَرِ والهَيئاتِ، والأحوالِ والصِّفاتِ!

كما قال تعالى: وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى * وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى [النجم: 45 – 47].

---

(102) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٢٠٤) أنّ الآية تحتمل أن تكون بمعنى: «سوَّيْنا وعدَّلْنا التَّقدُّم والتَّأخُّر».
ثم وجَّهه بقوله: «أي: جعلنا الموت رُتَبًا، ليس يموت العالَمُ دفعة واحدة، بل بترتيبٍ لا يعدوه أحد».

وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ (62).

وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى.

أي: ولقد عَلِمتُم خَلْقَنا لكم أوَّلَ مَرَّةٍ، ولم تَكونوا شَيئًا قَبْلَ ذلك!

كما قال الله تبارك وتعالى: أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا [مريم: 67].

وقال سُبحانَه: وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ [يس: 77 – 79].

فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ.

أي: فهَلَّا تَتذكَّرونَ ذلك؛ فتَعلَموا أنَّ الَّذي أنشَأَكم النَّشْأةَ الأُولى ولم تكونوا شَيئًا: لا يَتعَذَّرُ عليه إعادتُكم أحياءً بعْدَ مَوتِكم؟!

سورةُ الواقِعةِ

الآيات (63-74)

أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (63) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (64) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا
فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (65) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (66) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (67) أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي
تَشْرَبُونَ (68) أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ (69) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا
فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (70) أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (71) أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ
الْمُنْشِئُونَ (72) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ (73) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ
(74)

غَرِيبُ الكَلِماتِ:

حُطَامًا: أي: فُتاتًا مُكَسَّرًا، مِن تحطَّمَ العُودُ: إذا تفَتَّت مِن اليُبْسِ، وأصلُ (حطم): يدُلُّ على كَسرِ الشَّيءِ.

تَفَكَّهُونَ: أي: تَنْدَمونَ. وقيلَ: تَتعَجَّبونَ مِمَّا نَزَل بزَرْعِكم.

لَمُغْرَمُونَ: أي: مُعَذَّبونَ؛ مِنَ الغَرامِ: وهو أشَدُّ العَذابِ. وقيل: أي: غَرِمْنا أموالَنا وصار ما أنفَقْنا غُرْمًا علينا، والمُغْرَمُ: الَّذي ذَهَب مالُه بغَيرِ عِوَضٍ، وأصلُ (غرم): يدُلُّ على مُلازَمةٍ.

الْمُزْنِ: أي: السَّحابِ.

أُجَاجًا: أي: شَديدَ المُلوحةِ، وأصلُ (أجج): يدُلُّ على الشِّدَّةِ.

تُورُونَ: أي: تَستَخرِجونَ، يُقالُ: وَرَى الزَّنْدُ (أي: العودُ الَّذي تُقدَحُ به النَّارُ) يَرِي وَرْيًا: خَرَجَت نارُه.

وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ: أي: مَنْفَعةً للمُسافِرينَ، والمُقْوِي: الَّذي يَنزِلُ بالقَوَاءِ: وهي الأرضُ الخاليةُ. وقيل: هم الَّذين لا زادَ معهم ولا مالَ لهم؛ مِن قَولِهم: أقْوَتِ الدَّارُ، أي: خَلَت، فالمُقْوِي: الخالي مِنَ الزَّادِ، وأصلُ (قوي) هنا: يدُلُّ على قِلَّةِ خيرٍ.

تَفسيرُ الآياتِ:

أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (63).

أي: أفرأيتُمُ البَذْرَ الَّذي تَشقُّون له الأرضَ وتُثيرونَها، فتُلْقونَه فيها لِيَنبُتَ؟

كما قال تعالى: إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى [الأنعام: 95].

وقال سُبحانَه: فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا * وَفَاكِهَةً وَأَبًّا * مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ [عبس: 24 – 32].

أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (64).

أي: أأنتم تُصيِّرونَ ذلك البَذْرَ زَرْعًا، أم نحن الَّذين أنبَتْناه بقُدرتِنا؟

لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (65).

لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا.

أي: لو نَشاءُ لَصَيَّرْنا ذلك الزَّرْعَ –الَّذي أنبَتْناه– هَشيمًا يابِسًا، فلا تَنتَفِعونَ به!

فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ.

أي: فبَقِيتُم نادِمينَ مُتعَجِّبينَ مِن هَلاكِ زَرْعِكم، قد زال عنكم السُّرورُ والمَرَحُ![103]

إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (66).

لَمَّا ذَكَر تَفَكُّههم، وكان التَّفَكُّهُ يُطلَقُ على التَّعَجُّبِ والتَّنَدُّمِ، وعلى التَّنَعُّمِ؛ بَيَّن المرادَ بقَولِه حِكايةً لتفَكُّهِهم:

أي: فتَقولونَ: إنَّا لَمُعَذَّبونَ![104]

---

(103) اختُلف في معنى: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ في هذه الآية على أقوال: الأول: تتعجَّبون مما نزل بكم في زرعكم.

الثاني: تتلاومون.

الثالث: تندَّمون.

الرابع: تفجَّعون.

ورجَّح ابنُ جرير (٢٢/ ٣٥١) -مستندًا إلى اللغة- القول الأول، وهو قول ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، ومقاتل، وعلَّل ذلك بأن أصله: «من التفكُّه بالحديث: إذا حدَّث الرجلُ الرجلَ بالحديث يُعْجَب منه، ويَلْهى به، فكذلك ذلك، وكأن معنى الكلام: فأقمتم تتعجَّبون، يُعَجِّب بعضكم بعضًا مما نزل بكم».

واستدرك ابنُ عطية (٨/ ٢٠٦) على هذه الأقوال الأربعة بقوله: «وهذا كلّه تفسير لا يخصُّ اللفظة، والذي يخصُّ اللفظة هو: تطرحون الفكاهة عن أنفسكم، وهي المَسَرَّة والجذل، ورجلٌ فَكِهٌ: إذا كان منبسط النفس غير مكترث بالشيء».

(104) اختُلف في معنى: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ على أقوال: الأول: إنّا لَمُولَعٌ بنا.

الثاني: إنّا لَمعذَّبون.

الثالث: لَمُلْقَون للشر.

ورجَّح ابنُ جرير (٢٢/ ٣٥٢) -مستندًا إلى لغة العرب- القول الثاني، وهو قول قتادة، وعلَّل ذلك بقوله: «وذلك أن الغرام عند العرب: العذاب».

واستشهد ببيتٍ من الشعر.

بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (67).

أي: إنَّما نحن محرومونَ مِن مَنفَعةِ زَرْعِنا، وحُصولِ خَيْرِه، فلا حَظَّ لنا فيه!

أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (68).

أي: أفرأيتُمُ الماءَ العَذْبَ الَّذي تَشرَبونَ منه؟

أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ (69).

أي: أأنتُم الَّذين أنزَلْتُم هذا الماءَ مِنَ السَّحابِ إلى الأرضِ، أم نحن المُنزِلونَ له بقُدْرتِنا؟

لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (70).

لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا.

أي: لو نَشاءُ جَعَلْنا ذلك الماءَ العَذْبَ مِلْحًا شَديدَ المَرارةِ؛ فلا يُمكِنُكم شُربُه، والانتِفاعُ به!

ووجَّه ابنُ عطية (٨/ ٢٠٦) القول الثاني بأنه: «من الغرام وهو أشـــد العذاب، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥]».

واستشهد له ببيت من الشعر، وذكر احتمالًا آخر: «أن يكون المعنى: إنّا لمحمَّلون الغرام».

ثم وجَّهه بقوله: «أي: غرمنا في النفقة، وذهب زرعنا، تقول: غَرِمَ الرجل وأغْرَمْتُه فهو مُغْرَم».

فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ.

أي: فهلَّا تَشكُرونَ اللهَ الَّذي رزَقكم الماءَ العَذْبَ الزُّلالَ!

أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (71).

أي: أفرأيتُم النَّارَ الَّتي تَستخرِجونَها مِنَ الشَّجَرِ بالاقتِداحِ، وتُوقِدونَها؟

أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ (72).

أي: أأنتم أنشَأْتُم الشَّجَرةَ الَّتي تَخرُجُ منها النَّارُ،[105] أم نحن الَّذين أنشَأْناها بقُدْرتِنا؟

كما قال تعالى: وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ [يس: 78 – 80].

نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ (73).

نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً.

(105) نقل ابنُ عطية (٨/ ٢٠٧) في معنى: ﴿أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا﴾ عن بعض أهل النظر قولهم: «أراد بالشجرة: نفس النار».
ثم وجَّهه بقوله: «كأنه تعالى يقول: نوعها أو جنسها، فاستعار الشجرة لذلك».
ثم انتقده قائلًا: «وهو قولٌ فيه تكلُّف».

أي: نحن جعلْنا تلك النَّارَ تَذكيرًا للنَّاسِ بنارِ جهنَّمَ، فيَعتبِرونَ وينزَجِرونَ خوفًا منها.

عن أبي هُرَيرةَ رَضِي الله عنه، أنَّ رَسولَ اللهِ – ﷺ – قال: ((نارُكم جُزءٌ مِن سَبعينَ جُزءًا مِن نارِ جَهنَّمَ! قيلَ: يا رَسولَ اللهِ: إنْ كانت لَكافيةً! قال: فُضِّلَت عليهِنَّ بتِسعةٍ وسِتِّينَ جُزءًا، كُلُّهنَّ مِثلُ حَرِّها)).(106)

وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ.

أي: وجعَلْنا نارَ الدُّنيا مَنفَعةً للمُسافِرينَ؛ في الطَّبخِ، والتَّدفِئةِ، والاستِضاءةِ، وغيرِ ذلك.(107)

---

(106) رواه البخاري (3265) واللفظ له، ومسلم (2843).

(107) اختُلف في معنى: «المُقْوِين» في هذه الآية على أقوال: الأول: المسافرون.

الثاني: المستمتعون بها.

الثالث: الجائعون.

ورجَّح ابنُ جرير (٢٢/ ٣٥٨) –مستندًا إلى اللغة– القول الأول، وهو قول ابن عباس، والضَّحّاك، والحسن، وقتادة، ومقاتل، فقال: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي قولُ مَن قال: عُنِيَ بذلك: للمسافر الذي لا زاد معه، ولا شيء له. وأصله من قولهم: أقْوَت الدار: إذا خَلَت من أهلها وسكانها».

واستشهد ببيتٍ من الشعر.

وعلَّق ابنُ كثير (١٣/ ٣٨٧) على القول الثاني بقوله: «وهذا التفسير أعمُّ مِن غيره، فإنّ الحاضر والبادي مِن غني وفقير، الكلّ محتاجون للطبخ والاصطلاء والإضاءة وغير ذلك من المنافع.

ثم مِن لطف الله تعالى أنْ أودعها في الأحجار، وخالص الحديد، بحيث يتمكّن المسافر مِن حمْل ذلك في متاعه وبين ثيابه، فإذا احتاج إلى ذلك في منزله أخرج زِنده وأورى، وأوقد ناره فاطبخ بها واصطلى، واشتوى واستأنس بها، وانتفع بها سائر الانتفاعات؛ فلهذا أفرد المسافرون، وإن كان ذلك عامًّا في حق الناس كلّهم».

وذكر ابنُ عطية (٨/ ٢٠٧) أن معنى «المُقْوِين» في هذه الآية: «الكائنون في الأرض القواء، وهي الفيافي».

ثم ذكر أنّ بعض الناس «عبر في تفسير» المُقْوِين «بأشياء ضعيفة، كقول ابن زيد: للجائعين ونحوه».

ولم يذكر مستندًا، ثم علَّق على القول الأول بقوله: «ومَن قال: معناه: للمسافرين فهو نحو ما قلناه، وهي عبارة ابن عباس – رضي الله عنهما –، تقول: أصبح الرجل: دخل في الصباح، وأَصْحَرَ: دخل في الصحراء، وأقوى: دخل في الأرض القَواء، ومنه: أقْوَت الدار، أقوى الطَّلَلُ، أي: صار قواءً...».

فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (74).

أي: فنَزِّهْ ربَّك المتَّصِفَ بكَمالِ العَظَمةِ -يا مُحمَّدُ- عن كُلِّ نَقصٍ وعَيبٍ، قائِلًا: سُبحانَ رَبِّيَ العَظيمِ.

وذكر ابنُ القيم (٣/ ١١٤) أنّ «المُقْوين»: هم المسافرون.

ثم علَّق بقوله: «وخصّ المُقْوين بالذكر، وإن كانت منفعتها عامةً للمسافرين والمقيمين تنبيهًا لعباده -والله أعلم بمراده مِن كلامه- على أنهم كلّهم مسافرون، وأنهم في هذه الدار على جناح سفر ليسوا هم مقيمين ولا مستوطنين، وأنهم عابرو سبيل وأبناء سفر».

سورةُ الواقِعةِ

الآيات (75–82)

فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (75) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (76) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (77)
فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (78) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (79) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (80) أَفَبِهَذَا
الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ (81) وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ (82)

غَريبُ الكَلِماتِ:

﴿بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾: أي: مَطالِعِ النُّجومِ ومَغارِبِها، ومَساقِطِها ومَنازِلِها، وأصلُ (نجم): يدُلُّ على طُلوعٍ وظُهورٍ، وأصلُ (وقع): يدُلُّ على سُقوطِ شَيءٍ.

﴿مَكْنُونٍ﴾: أي: مَصونٍ مَحفوظٍ، وأصلُ (كنن): يدُلُّ على سَترٍ وصَونٍ.

﴿مُدْهِنُونَ﴾: أي: مُكَذِّبونَ، يُلاينُ بَعضُكم بعضًا، ويتَّبِعُه على الكُفرِ؛ مِنَ الإدهانِ: وهو الجَريُ في الباطِنِ على خِلافِ الظَّاهِرِ، هذا أصلُه، ثمَّ قِيلَ للمُكَذِّبِ: مُدْهِنٌ وإنْ صَرَّح بالتَّكذيبِ والكُفرِ، والمُداهَنةُ: عِبارةٌ عن المُداراةِ والمُلايَنةِ، مَأخوذةٌ مِنَ الدُّهنِ؛ لِلِينِه وإملاسِه، وأصلُ (دهن): يَدُلُّ على لِينٍ وسُهولةٍ.

تَفسيرُ الآياتِ:

فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (75).

أي: فلا أُقسِمُ بمواقِعِ النُّجومِ في السَّماءِ.(108)

---

(108) نقل ابنُ عطية (٨/ ٢٠٨) في معنى: «لا» من قوله تعالى: ﴿فَلا أُقْسِمُ﴾ عن سعيد بن جُبَير، وبعض النحويين قولهم: هي نافية.

ثم وجَّهه بقوله: «كأنه تعالى يقول: فَلَا صحة لما يقوله الكفار، ثم ابتدأ –تبارك وتعالى– فقال: ﴿أُقْسِمُ﴾».

ونقل ابنُ كثير (١٣/ ٣٨٩) عن الضَّحّاك من طريق جويبر قوله: «إنّ الله لا يقسم بشيء مِن خلْقه، ولكنه استفتاح يستفتح به كلامه».

ثم انتقده قائلًا: «وهذا القول ضعيف».

ولم يذكر مستندًا.

اختُلف في معنى: «النجوم» التي أقسم بمواقعها في هذه الآية على قولين: الأول: أنها نجوم السماء.

وفي مواقعها ثلاثة أقوال: أحدها: منازلها.

ثانيها: مساقطها.

ثالثها: انتثارها عند قيام الساعة.

الثاني: أنها آيات القرآن، ومواقعها: نزولها شيئًا بعد شيء.

ووجَّه ابنُ القيم (٣/ ١١٥) قول مَن قال: إنها نجوم السماء، ومواقعها: مساقطها.

بقوله: «وعلى هذا فتكون المناسبة بين ذِكر النجوم في القسم وبين المُقسم عليه وهو القرآن من وجوه: أحدها: أنّ النجوم جعلها الله يُهتدى بها في ظلمات البر والبحر، وآيات القرآن يُهتدى بها في ظلمات الجهل والغي، فتلك هداية في الظلمات الحسية، وآيات القرآن في الظلمات المعنوية؛ فجمع بين الهدايتين، مع ما في النجوم من الرجوم للشياطين، وفي آيات القرآن من رجوم شياطين الإنس والجن، والنجوم آياته المشهودة المعاينة، والقرآن آياته المتلوة السمعية، مع ما في مواقعها عند الغروب من العِبرة والدلالة على آياته القرآنية ومواقعها عند النزول».

وعلَّق ابنُ عطية (٨/ ٢٠٩) على القول الثاني بقوله: «ويؤيد هذا القول عوْد الضمير على القرآن في قوله سبحانه: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾، وذلك أنّ ذِكْرَه لم يتقدم إلا على هذا التأويل، ومَن لا يتأول هذا التأويل يقول: إنّ الضمير يعود على القرآن وإن لم يتقدم له ذِكر لشهرة الأمر ووضوح المعنى، كقوله تعالى: ﴿حَتّى تَوارَتْ بِالحِجابِ﴾ [ص: ٣٢]، و﴿كُلُّ مَن عَلَيْها فانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦] وغير ذلك».

وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (76).

أي: وإنَّ هذا القَسَمَ لَقَسَمٌ عَظيمٌ، لو تَعلَمونَ قَدْرَه وعَظَمَته!

إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (77).

أي: أُقسِمُ على أنَّ هذا القُرآنَ المُنَزَّلَ على مُحمَّدٍ: قرآنٌ عَظيمُ الحُسْنِ والنَّفعِ، والخَيرِ والإنعامِ؛ مُتَّصِفٌ بصِفاتِ الكَمالِ والجَمالِ، مُنزَّهٌ عن كُلِّ شائِبَةِ نَقصٍ وعَيبٍ وقُبحٍ!

فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (78).

أي: إنَّ القُرآنَ مَحفوظٌ عِندَ اللهِ –تعالى– في كِتابٍ مَصونٍ مِن كُلِّ سُوءٍ.(109)

ورجَّح ابن جرير (٢٢/ ٣٦١) –مستندًا إلى الأغلب في اللغة– أنه قسمٌ بمساقط النجوم ومغايبها في السماء، وهو قول مجاهد من طريق ابن أبي نجيح، وقول الحسن، وقتادة من طريق سعيد، وعلَّل ذلك بقوله: «وذلك أن المواقع جمع موقع، والموقع المَفْعِل، من وقع يَقَعُ مَوقِعًا، فالأغلب من معانيه والأظهر من تأويله ما قلنا في ذلك، ولذلك قلنا: هو أوْلى معانيه به».

وزاد ابن عطية (ينظر: ٨/ ٢١٠) قولًا أنّ مواقع النجوم: عند الانقضاض إثر العفاريت.

(109) اختُلف في معنى: ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾ –بعد اتفاقهم على أنّ «المكنون»: المصون– على أقوال: الأول: أنه كتاب في السماء.

الثاني: أنه التوراة والإنجيل.

الثالث: اللوح المحفوظ.

ووجَّه ابنُ عطية (٨/ ٢١٠) القول الثاني بقوله: «كأنه تعالى قال: إنه لكتابٌ كريمٌ، ذُكِر كرمه وشرفه في كتابٍ مكنونٍ، فمعنى الآية –على هذا–: الاستشهاد بالكتب المنزّلة، وهذا كقوله – عز وجل –: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٦]».

ونقل عن بعض المتأوّلين أنّ المراد: «مصاحف المسلمين، وكانت يوم نَزَلَتْ الآية لم تكن».

ثم وجَّهه بقوله: «فهي –على هذا– إخبار بغيب، وكذلك هو كتاب مصون إلى يوم القيامة، ويؤيد هذا لفظة المَسّ؛ فإنها تشير إلى المصاحف، وهي مستعارة من مسّ الملائكة».

ورجَّح ابنُ القيم (٣/ ١١٧) –مستندًا إلى دلالة ظاهر الآية– أنّ «الكتاب المكنون»: هو الكتاب الذي بأيدي الملائكة، فقال: «والصحيح أنه الكتاب الذي بأيدي الملائكة، وهو المذكور في قوله: ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٣ – ١٦]، ويدل على أنه الكتاب الذي بأيدي الملائكة قوله: ﴿لا يَمَسُّهُ إلا المُطَهَّرُونَ﴾، فهذا يدل على أنه بأيديهم يمسّونه، وهذا هو الصحيح في معنى الآية».

ثم بيَّن أوجه ترجيح هذا القول، وانتقد قول من قال: إنّ المراد مصاحف المسلمين مستندًا إلى الدلالة العقلية، فقال: «أحدها: أنّ الآية سيقت تنزيهًا للقرآن أن تنزل به الشياطين، وأنّ محله لا يصل إليه فيمسّه إلا المطهّرون، فيستحيل على أخابث خلْق الله وأنجسهم أن يصلوا إليه أو يمسّوه، كما قال تعالى: ﴿وما تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّياطِينُ وما يَنْبَغِي لَهُمْ وما يَسْتَطِيعُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٠ – ٢١١]، فنفى الفعل وتأتّيه منهم، وقدرتهم عليه، فما فعلوا ذلك ولا يليق بهم، ولا يقدرون عليه، فإنّ الفعل قد ينتفي عمّن يحسن منه، وقد يليق بمن لا يقدر عليه، فنفى عنهم الأمور الثلاثة، وكذلك قوله في سورة عبس [١٣ – ١٦]: ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرامٍ بَرَرَةٍ﴾، فوصف محله بهذه الصفات بيانًا أنّ الشيطان لا يمكنه أن يتنزل به، وتقرير هذا المعنى أهمّ وأجل وأنفع من بيان كون المصحف لا يمسّه إلا طاهر.

الوجه الثاني: أنّ السورة مكية، والاعتناء في السور المكية إنما هو بأصول الدين، من تقرير التوحيد والمعاد والنبوة، وأما تقرير الأحكام والشرائع فمظنّة السور المدنية.

الثالث: أنّ القرآن لم يكن في مصحف عند نزول هذه الآية، ولا في حياة رسول الله – ﷺ –، وإنما جُمع في المصحف في خلافة أبي بكر، وهذا وإن جاز أن يكون باعتبار ما يأتي فالظاهر أنه إخبار بالواقع حال الإخبار، يوضّحه الوجه الرابع: وهو قوله: ﴿فِي كِتابٍ مَكْنُونٍ﴾ والمكنون: المصون المستور عن الأعين الذي لا تناله أيدي البشر، كما قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾ [الصافات: ٤٩] وهكذا قال السلف، قال الكلبي: مكنون من الشياطين.

وقال مقاتل: مستور.

وقال مجاهد: لا يصيبه تراب ولا غبار.

وقال أبو إسحاق: مصون في السماء.

يوضّحه الوجه الخامس: أنّ وصفه بكونه مكنونًا نظير وصفه بكونه محفوظًا؛ فقوله: ﴿إنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتابٍ مَكْنُونٍ﴾ كقوله: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١ – ٢٢] يوضحه الوجه السادس: أنّ هذا أبلغ في الردّ على المكذّبين وأبلغ في تعظيم القرآن مِن كون المصحف لا يمسّه مُحدث.

الوجه السابع: قوله: ﴿لا يَمَسُّهُ إلا المُطَهَّرُونَ﴾ بالرفع، فهذا خبر لفظًا ومعنًى، ولو كان نهيًا لكان مفتوحًا، ومَن حمل الآية على النهي احتاج إلى صرف الخبر عن ظاهره إلى معنى النهي، والأصل في الخبر والنهي حمل كلٍّ منهما على حقيقته، وليس ههنا موجب يوجب صرف الكلام عن الخبر إلى النهي.

الوجه الثامن: أنه قال: ﴿إلا المُطَهَّرُونَ﴾ ولم يقل: إلا المتطهّرون، ولو أراد به منع المُحدث مِن مسّه لقال: إلا المتطهّرون، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ويُحِبُّ المُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وفي الحديث: «اللهم، اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين».

فالمتطهّر فاعل التطهير، والمطهّر الذي طهّره غيره، فالمتوضئ متطهّر، والملائكة مطهّرون.

الوجه التاسع: أنه لو أريد به المصحف الذي بأيدينا لم يكن في الاخبار عن كونه مكنونًا كبير فائدة؛ إذ مجرد كون الكلام مكنونًا في كتاب لا يستلزم ثبوته، فكيف يمدح القرآن بكونه مكنونًا في كتاب، وهذا أمر مشترك، والآية إنما سيقت لبيان مدحه وتشريفه وما اختص به من الخصائص التي تدل على أنه منزلٌ من عند الله وأنه محفوظ مضمون لا يصل إليه شيطان بوجهٍ ما، ولا يمسّ محله إلا المطهّرون وهم السّفرة الكرام البررة.

الوجه العاشر: ما رواه سعيد بن منصور في سننه: حدثنا أبو الأحوص، حدثنا عاصم الأحول، عن أنس بن مالك، في قوله: ﴿لا يمسه إلا المطهرون﴾، قال: ﴿المطهّرون﴾ الملائكة.

وهذا عند طائفة من أهل الحديث في حكم المرفوع، وقال الحاكم: تفسير الصحابة عندنا في حكم المرفوع، ومن لم يجعله مرفوعًا فلا ريب أنه عنده أصحّ من تفسير مَن بعد الصحابة، والصحابة أعلم الأمة بتفسير القرآن، ويجب الرجوع إلى تفسيرهم.

وقال حرب في مسائله: سمعت إسحاق في قوله: ﴿لا يمسه إلا المطهرون﴾ قال: النسخة التي في السماء لا يمسها إلا المطهرون قال الملائكة».

وذكر ابنُ تيمية (٦/ ١٨٩) أن اللوح المحفوظ مراد من هذه الآية، فقال: «والصحيح اللوح المحفوظ الذي في السماء مراد من هذه الآية، وكذلك الملائكة مرادون مِن قوله: ﴿المُطَهَّرُونَ﴾ لوجوه: أحدهما: إنّ هذا تفسير جماهير السلف من الصحابة ومَن بعدهم حتى الفقهاء الذين قالوا: لا يمس القرآن إلا طاهر، من أئمة المذاهب صرّحوا بذلك، وشبهوا هذه الآية بقوله: ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ فَمَن شاءَ ذَكَرَهُ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١١ - ١٦].

وثانيها: أنه أخبر أن القرآن جميعه في كتاب، وحين نَزَلَتْ هذه الآية لم يكن نزل إلا بعض المكي منه، ولم يجمع جميعه في المصحف إلا بعد وفاة النبي - ﷺ -.

وثالثها: أنه قال: ﴿فِي كِتابٍ مَكْنُونٍ﴾ والمكنون: المصون المحرّر الذي لا تناله أيدي المضلّين، فهذه صفة اللوح المحفوظ.

ورابعها: أنّ قوله: ﴿لا يَمَسُّهُ إلّا المُطَهَّرُونَ﴾ صفة للكتاب، ولو كان معناها الأمر لم يصح الوصف بها، وإنما يوصف بالجملة الخبرية.

وخامسها: أنه لو كان معنى الكلام الأمر لقيل: فلا يمسه؛ لتوسط الأمر بما قبله.

وسادسها: أنه قال: ﴿المُطَهَّرُونَ﴾، وهذا يقتضي أن يكون تطهيرهم من غيرهم، ولو أريد طهارة بني آدم فقط لقيل: المتطهّرون، كما قال تعالى: ﴿فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أنْ يَتَطَهَّرُوا واللَّهُ يُحِبُّ المُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوّابِينَ ويُحِبُّ المُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وسابعها: أنّ هذا مسوق لبيان شرف القرآن، وعلوه، وحفظه».

لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (79).

أي: لا يَمَسُّ هذا الكِتابَ المكنونَ إلَّا الملائكةُ الَّذين طَهَّرهمُ اللهُ تعالى مِنَ الذُّنوبِ والعُيوبِ.(110)

تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (80).

أي: هذا القُرآنُ الكريمُ مُنزَّلٌ مِن رَبِّ العالَمينَ؛ فهو الحقُّ الَّذي لا مِرْيةَ فيه.

قال تعالى: تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ [السجدة: 2].

---

(110) اختُلف في المعنيّ بقوله تعالى: ﴿إلا المُطَهَّرُونَ﴾ بناءً على اختلافهم في معنى: «الكتاب المكنون» على أقوال: الأول: مَن قال: إنّ «الكتاب المكنون» هو الذي في السماء، ذكروا في «المطهَّرين» عدة أقوال: أحدها: هم الملائكة.

ثانيها: هم الذين قد طُهِّروا من الذنوب كالملائكة والرسل.

ثالثها: لا يمسُّه عند الله إلا المطهَّرون من الأحداث والأنجاس.

الثاني: ومَن قال: إن «الكتاب المكنون» هو التوراة والإنجيل، قال: «المطهَّرون» هم حملة التوراة والإنجيل.

الثالث: ومَن قال: إنّ «الكتاب المكنون» هو مصاحف المسلمين، قال: «المطهَّرون» هم المطهَّرون من الكفر والجنابة والحَدَث الأصغر.

ووجَّه ابنُ عطية (٨/ ٢١٠) القول الأول بقوله: «وليس في الآية –على هذا القول– حكم مسّ المصحف لسائر بني آدم».

ورجّح ابنُ جرير (٢٢/ ٣٦٧) –مستندًا إلى ظاهر الآية– شمول المعنى لجميع الأقوال، فقال: «والصواب من القول في ذلك عندنا: أنّ الله –جلَّ ثناؤه– أخبر أن لا يَمَسَّ الكتاب المكنون إلا المطهَّرون، فعمَّ بخبره المطهَّرين، ولم يَخْصُص بعضًا دون بعض؛ فالملائكة من المطَهَّرين، والرُّسل والأنبياء مِن المطهَّرين، وكلُّ من كان مُطهَّرًا مِن الذنوب فهو مِمَّن استُثْنِي، وعني بقوله: ﴿إلا المُطَهَّرُونَ﴾».

وذكر ابنُ عطية (٨/ ٢١٠) أنّ «مَن قال بأنها مصاحف المسلمين، قال: إنّ قوله: لا يَمَسُّهُ إخبار مضمّنه النهي، وضمة السين على هذا ضمة إعراب، وقال بعض هذه الفرقة: بل الكلام نهي، وضمة السين ضمة بناء».

ثم انتقد (٨/ ٢١١) –مستندًا إلى اللغة– مَن قال بأنه نهي، فقال: «والقول بأن ﴿لا يَمَسُّهُ﴾ نهيٌ قول فيه ضعف، وذلك أنه إذا كان خبرًا فهو في موضع الصفة، وقوله تعالى بعد ذلك: ﴿تَنزِيلٌ﴾ صفة أيضًا، فإذا جعلناه نهيًا جاء معنًى أجنبيًّا مُعْتَرَضًا بين الصفات، وذلك لا يحسن في رصف الكلام فتدبَّره، وفي حرف ابن مسعود – رضي الله عنهما –: (ما يَمَسُّهُ)، وهذا يقوّي ما رجَّحته مِن الخبر الذي معناه: حَقُّهُ وقَدْرُه أن لا يمسّه إلا طاهر».

أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ (81).

أي: أفبِهذا القُرآنِ أنتم كافِرون مُكذِّبونَ؟!

وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ (82).

وتجعَلونَ شُكْرَ رزقِكم التَّكذيبَ؛ فتَضَعونَ التَّكذيبَ مَوضِعَ الشُّكرِ، وتُقابِلونَ مِنَّةَ الله عليكم بالكُفرِ بها؟!

قال تعالى: يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ [النحل: 83].

وقال سُبحانَه: وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى * وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى [طه: 131، 132].

وعن زَيدِ بنِ خالِدٍ الجُهَنيِّ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((صلَّى بنا رَسولُ اللهِ – ﷺ – صلاةَ الصُّبحِ بالحُدَيْبِيَةِ في إثْرِ السَّماءِ[111] كانت مِنَ اللَّيلِ، فلمَّا انصَرَف أقبَلَ على النَّاسِ فقال: هل تَدْرُونَ ماذا قال رَبُّكم؟ قالوا: اللهُ ورَسولُه أعلَمُ. قال: قال: أصبَحَ مِن عِبادي مُؤمِنٌ بي وكافِرٌ؛ فأمَّا مَن قال: مُطِرْنا بفَضلِ اللهِ

---

(111) السَّمَاءِ: أي: المَطَرِ.

يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (60/2).

ورَحمتِه فذلك مُؤمِنٌ بي، كافِرٌ بالكوكَبِ، وأمَّا مَن قال: مُطِرْنا بنَوءِ[112] كذا وكذا فذلك كافِرٌ بي، مُؤمِنٌ بالكوكَبِ)). [113]

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رَسولُ اللهِ – ﷺ –: ((ألم ترَوا إلى ما قال ربُّكم؟! قال: ما أنعَمْتُ على عبادي مِن نِعمةٍ إلَّا أصبَحَ فَريقٌ منهم بها كافِرينَ، يقولونَ: الكواكِبُ، وبالكواكِبِ!)). [114]

(112) بنَوءِ كذا: أي: بنَجْمِ كذا، والنَّوءُ عندَ العَرَبِ: سُقوطُ نَجمٍ مِن نُجومِ المنازِلِ الثَّمانيةِ والعِشرينَ.
يُنظر: ((فتح الباري)) لابن حجر (199/1).

(113) رواه البخاريُّ (1038)، ومسلمٌ (71) واللَّفظُ له.

(114) رواه مسلم (72).

سورةُ الواقِعةِ

الآيات (83–96)

فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (83) وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ (84) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ
لَا تُبْصِرُونَ (85) فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (86) تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (87) فَأَمَّا
إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (88) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ (89) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ
الْيَمِينِ (90) فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (91) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ
(92) فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ (93) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (94) إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (95) فَسَبِّحْ
بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (96)

غَرِيبُ الكَلِماتِ:

الْحُلْقُومَ: أي: مَجْرى النَّفَسِ، وقيل: مجرَى الطَّعامِ.

مَدِينِينَ: أي: مَجْزِيِّينَ مُحاسَبِينَ. وقيل: مَملوكينَ أذِلَّاءَ؛ مِن قَولِك: دِنْتُ له بالطَّاعةِ، وأصلُ (دين): يدُلُّ على الانقيادِ والذُّلِّ، فالحسابُ والجزاءُ كِلاهما أمرٌ يُنْقادُ له.

فَرَوْحٌ: أي: راحةٌ واستِراحةٌ وفَرَحٌ، وأصلُ (روح): يدُلُّ على سَعةٍ، وفُسحةٍ، واطِّرادٍ.

وَرَيْحَانٌ: أي: رِزقٌ طَيِّبٌ. وقيل: هو النَّبتُ ذو الرَّائِحةِ الجَميلةِ، وأصلُ (روح): يدُلُّ على سَعةٍ، وفُسحةٍ، واطِّرادٍ، وأصلُ ذلك كلِّه الرِّيحُ.

وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ: أي: دُخولٌ لها، ومُقاساةٌ لحَرِّها، وأصلُ (صلي): يدُلُّ على الإيقادِ بالنَّارِ، والجحيمُ: النَّارُ، وأصْلُ (جحم): عِظَمُ الحرارةِ وشِدَّتُها.

تَفسيرُ الآياتِ:

فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (83).

أي: فهلَّا إذا بلَغت رُوحُ الميّتِ حَلْقَه حينَ خُروجِها مِن جَسَدِه.

كما قال تعالى: كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ * وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ [القيامة: 26 – 30].

وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ (84).

أي: وأنتم –أيُّها الحاضِرونَ عندَ المُحتَضَرِ– تَنظُرونَ إليه وهو في سَكَراتِ المَوتِ، ولا تَستَطيعونَ رَدَّ رُوحِه إلى مَوضِعِها.

وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ (85).

أي: ومَلائِكتُنا –الَّذين نُرسِلُهم إلى المُحتَضَرِ لِقَبضِ رُوحِه– أقرَبُ إليه منكم –أيُّها الحاضِرونَ عِندَه– ولكِن لا تَرَونَهم.(115)

---

(115) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٢١٣) في معنى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ احتمالين: الأول: «أن يريد: ملائكته، ورسله». والثاني: «أن يريد: بقدرتنا وغلبتنا».

ثم وجَّههما بقوله: «فعلى الاحتمال الأول يجيء قوله تعالى: ﴿ولكِنْ لا تُبْصِرُونَ﴾ من النّظر بالعين، وعلى التأويل الثاني يجيء من النظر بالقلب، وقال عامر بن عبد قيس: ما نظرتُ إلى شيء إلا رأيتُ اللهَ أقرب إليه مِنّي».

كما قال تعالى: وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ [الأنعام: 61].

وقال عزَّ وجَلَّ: وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا * وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا [النازعات: 1 – 2].

فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (86).

أي: فهلَّا إنْ كُنتُم –أيُّها المُكَذِّبونَ بالبَعثِ– غَيرَ مقهورينَ مملوكينَ، ولا مُحاسَبينَ مَجْزِيّينَ بأعمالِكم.(116)

تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (87).

أي: هلَّا تَرجِعونَ رُوحَ المُحتَضَرِ إلى جَسَدِه إنْ كُنتُم صادِقينَ في دَعوى إنكارِ البَعثِ والحِسابِ والجَزاءِ؟

فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (88).

أي: فأمَّا إنْ كان المَيِّتُ مِن المُقَرَّبينَ عِندَ اللهِ سُبحانَه تعالى.

---

(116) اختُلف في معنى: ﴿غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ في هذه الآية على أقوال: الأول: غير مُحاسبين.

الثاني: غير مبعوثين.

الثالث: غير موقنين.

ورجَّح ابنُ جرير (٢٢/ ٣٧٥) القول الأول، وهو قول ابن عباس، ومجاهد من طريق ابن أبي نجيح، وقتادة، والحسن من طريق أبي رجاء، وابن زيد، فقال: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قولُ مَن قال: غير مُحاسبين فمَجْزِيّين بأعمالكم، من قولهم: كما تَدِين تُدان، ومن قول الله: ﴿مالِكِ يوم الدِّين﴾ [الفاتحة: ٤]».

وذكر ابنُ عطية (٨/ ٢١٣) أن «المَدِين: المملوك، وأنّ هذا أصح ما يقال في معنى اللفظة هنا».

ثم انتقد القول الأول قائلًا: «ومَن عبَّر عنها بالمجازى أو المحاسَب فذلك هنا قلق».

ولم يذكر مستندًا.

فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ (89).

فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ.

أي: فله راحةٌ وسُرورٌ ورَحمةٌ، ورِزقٌ طَيِّبٌ وطِيبُ رائِحةٍ.(117)

عن أبي قَتادةَ بنِ رِبْعِيٍّ الأنصاريِّ رَضِيَ اللهُ عنه ((أنَّ رَسولَ اللهِ - ﷺ - مُرَّ عليه بجِنازةٍ، فقال: مُستريحٌ ومُستراحٌ منه! قالوا: يا رَسولَ اللهِ، ما المُستريحُ والمُستراحُ منه؟ قال: العَبدُ المُؤمِنُ يَستريحُ مِن نَصَبِ الدُّنيا وأذاها إلى رَحمةِ اللهِ، والعَبدُ الفاجِرُ يَستريحُ منه العِبادُ والبِلادُ، والشَّجَرُ والدَّوابُّ!)).(118)

وعن البَراءِ بنِ عازبٍ رَضِيَ اللهُ عنهما، عن النَّبيِّ - ﷺ - قال: ((إنَّ العبْدَ المؤمِنَ إذا كانَ في انْقِطاعٍ مِنَ الدُّنْيا، وإقْبالٍ مِنَ الآخِرةِ، نزَلَ إليه مَلائكةٌ مِنَ السَّماءِ بيضُ الوُجوهِ، كأنَّ وُجوهَهم الشَّمْسُ،

---

(117) اختُلف في معنى: ﴿فَرَوْحٌ ورَيْحانٌ﴾ في هذه الآية على أقوال بناءً على اختلاف القرأة في قراءتها، فمن قرأها: ﴿فَرَوْحٌ﴾ بفتح الراء: اختلفوا في معناها على أقوال: الأول: المعنى: فراحةٌ ومُسْتَرَاحٌ.

الثاني: الرَّوح: الراحة، والريحان: الرزق.

الثالث: الرَّوح: الفرح، والريحان: الرزق.

الرابع: الرَّوح: الرحمة، والرَّيحان: الريحان المعروف.

الخامس: الرَّوح: الرحمة، والريحان: الاستراحة.

ومَن قرأها: «فَرُوحٌ» بضم الراء، قالوا: الرُّوح: روح الإنسان، والريحان: هو الريحان المعروف.

ورجَّح ابنُ جرير (٢٢/ ٣٧٩) –مستندًا إلى اللغة– «قول مَن قال: عُنِيَ بالرَّوح: الفرح والرحمة والمغفرة، وأصله من قولهم: وجدتُ رَوحًا: إذا وجَد نسيمًا رَوْحًا يستريح إليه من كرب الحرِّ، وأما الرَّيحان: فإنه عندي الريحان الذي يُتَلَقّى به عند الموت. كما قال أبو العالية، والحسن، ومَن قال في ذلك نحو قولهما؛ لأن ذلك الأغلب والأظهر من معانيه».

(118) رواه البخاريُّ (6512) واللَّفظُ له، ومسلمٌ (950).

معَهم كفَنٌ مِن أكْفانِ الجَنَّةِ، وحَنُوطٍ مِن حَنُوطِ الجَنَّةِ، حتَّى يجلِسوا مِنه مَدَّ البصَرِ، ثمَّ يجيءُ مَلَكُ المَوْتِ عليه السَّلامُ، حتَّى يجلِسَ عندَ رَأْسِه، فيَقولُ: أيَّتُها النَّفْسُ الطَّيِّبةُ، اخْرُجي إلى مَغْفِرةٍ مِنَ اللهِ ورِضْوانٍ. فتَخرُجُ تَسِيلُ كما تَسِيلُ القَطْرةُ مِن فِي السِّقَاءِ، فيَأْخُذُها، فإذا أخَذَها لم يَدَعُوها في يَدِه طَرْفةَ عَينٍ حتَّى يَأْخُذوها، فيَجْعَلوها في ذَلِك الكَفَنِ، وفي ذلك الحَنُوطِ، ويَخْرُجُ مِنها كأَطْيَبِ نَفْحةِ مِسْكٍ وُجِدَت على وَجْهِ الأرضِ. فيَصْعَدونَ بها، فلا يَمُرُّونَ بها على مَلَإٍ مِنَ المَلائكةِ إلَّا قالوا: ما هذا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟! فيَقولونَ: فُلانُ بنُ فُلانٍ؛ بأحْسَنِ أسمائِه الَّتي كانوا يُسَمُّونَه بها في الدُّنيا، حتَّى يَنْتَهوا بها إلى السَّماءِ الدُّنيا، فيَسْتَفتِحون له، فيُفتَحُ لهم، فيُشَيِّعُه مِن كُلِّ سَماءٍ مُقَرَّبوها إلى السَّماءِ الَّتي تَلِيها، حتَّى يُنْتَهى به إلى السَّماءِ السَّابعةِ، فيَقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: اكْتُبوا كِتابَ عَبْدي في عِلِّيِّينَ، وأعيدُوه إلى الأرضِ؛ فإنِّي مِنها خلَقْتُهم، وفيها أُعيدُهم، ومِنْها أُخْرِجُهم تارَةً أُخْرى. فتُعادُ رُوحُه في جَسَدِه، فيَأْتيه مَلَكانِ، فيُجْلِسانِه، فيَقولانِ له: مَن ربُّك؟ فيَقولُ: رَبِّيَ اللهُ، فيَقولانِ له: ما دِينُك؟ فيَقولُ: دِينيَ الإسلامُ، فيَقولانِ له: ما هذا الرَّجُلُ الَّذي بُعِث فيكُم؟ فيَقولُ: هو رسولُ اللهِ - ﷺ -، فيَقولانِ له: وما عِلْمُك؟ فيَقولُ: قرَأتُ كِتابَ اللهِ، فآمَنْتُ به وصدَّقتُ، فيُنادي مُنادٍ في السَّماءِ: أنْ صدَق عَبْدي، فأفْرِشوه مِنَ الجَنَّةِ، وألبِسُوه مِن الجَنَّةِ، وافْتَحوا له بابًا إلى الجَنَّةِ. فيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِها وطِيبِها، ويُفْسَحُ له في قَبْرِه مَدَّ بَصَرِه. ويأْتيه رجُلٌ حسَنُ الوَجهِ، حَسنُ الثِّيابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فيَقولُ: أبْشِرْ بالَّذي

يَسُرُّك؛ هذا يومُك الَّذي كنت تُوعَدُ، فيَقولُ له: مَن أنتَ؛ فوَجْهُك الوَجهُ يَجيءُ بالخَيرِ؟ فيَقولُ: أنا عمَلُكَ الصَّالحُ، فيَقولُ: رَبِّ أقِمِ السَّاعةَ حتَّى أرجِعَ إلى أهْلي ومالي)).(119)

القِراءاتُ ذاتُ الأثَرِ في التَّفسيرِ:

1- قِراءةُ: فَرُوحٌ بضَمِّ الرَّاءِ، أي: فله حياةٌ دائِمةٌ لا مَوتَ فيها. وقيل: المعنى: تخرُجُ رُوحُه معها الرَّيحانُ. وقيل: فله رَحمةٌ.(120)

2- قِراءةُ: فَرَوْحٌ بفَتحِ الرَّاءِ، أي: فله بعْدَ مَوتِه راحةٌ. وقيل: رَحمةٌ ومَغفِرةٌ. وقيل: فَرَجٌ. وقيل: بَردٌ. وقيلَ: فَرَحٌ. وقيل: طِيبُ النَّسيمِ.(121)

---

(119) أخرجه ابنُ أبي شَيْبةَ في ((المصنَّف)) (12059)، وأحمد (18534)، والطيالسي (789)، والحاكم في ((المستدرك)) (107) بألفاظٍ مُتقاربةٍ.

صَحَّح الحديثَ الألبانيُّ في ((صحيح الترغيب)) (3558)، وحَسَّنه المُنذِريُّ في ((الترغيب والترهيب)) (280/4).

وصَحَّح إسنادَه الطَّبريُّ في ((مسند ابن عمر)) (494/2)، والبَيْهَقيُّ في ((شُعَب الإيمان)) (300/1)، وقال ابن مَنْدَه في ((الإيمان)) (398): إسنادُه مُتَّصِلٌ مَشهورٌ ثابتٌ على رَسمِ الجماعةِ.

(120) قرأ بها رُوَيسٌ عن يعقوبَ.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (383/2).

ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((معاني القراءات)) للأزهري (53/3)، ((تفسير السمعاني)) (362/5)، ((تفسير ابن عاشور)) (347/27).

(121) قرأ بها الباقون.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (383/2).

ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((تفسير ابن جرير)) (379/22)، ((معاني القراءات)) للأزهري (53/3)، ((تفسير البغوي)) (22/5)، ((تفسير القرطبي)) (232/17).

وَجَنَّةُ نَعِيمٍ.

أي: وله جَنَّةٌ يتنعَّمُ فيها.

عن كَعبِ بنِ مالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ رَسولَ اللهِ – ﷺ – قال: ((إنَّما نَسَمةُ المُؤمِنِ طائِرٌ يَعْلُقُ [122] في شَجَرِ الجَنَّةِ حتَّى يَرجِعَه اللهُ تبارك وتعالى إلى جَسَدِه يومَ يَبعَثُه)).[123]

وعن عائِشةَ رضيَ اللهُ عنها، قالت: قال رَسولُ اللهِ – ﷺ –: ((مَن أحَبَّ لِقاءَ اللهِ أحَبَّ اللهُ لِقاءَه، ومَن كَرِهَ لِقاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقاءَه. فقُلتُ: يا نبيَّ اللهِ، أكراهيةَ المَوتِ؟ فكُلُّنا نَكرَهُ الموتَ! فقال: ليس كذلك، ولكِنَّ المؤمِنَ إذا بُشِّرَ برَحمةِ اللهِ ورِضوانِه وجَنَّتِه، أحَبَّ لِقاءَ اللهِ، فأحَبَّ اللهُ لِقاءَه، وإنَّ الكافِرَ إذا بُشِّرَ بعَذابِ اللهِ وسَخَطِه، كَرِهَ لِقاءَ اللهِ، وكَرِهَ اللهُ لِقاءَه)).[124]

---

(122) يَعلُقُ –بضَمِّ اللَّامِ– أي: يتناوَلُ.

يُنظر: ((مختار الصحاح)) للرازي (ص: 216).

(123) أخرجه النَّسائي (2073)، وابن ماجه (4271)، وأحمد (15778) واللَّفظُ له.

صحَّحه ابنُ حِبَّانَ في ((الصحيح)) (4657)، وابنُ عبدِ البَرِّ في ((الاستذكار)) (614/2)، وابن العربي في ((عارضة الأحوذي)) (125/4)، وابنُ القيم في ((الروح)) (381/1)، وابنُ حجر في ((توالي التأسيس)) (203/1)، وابن باز في ((فتاوى نور على الدرب)) (97/10)، والألباني في ((صحيح سنن ابن ماجه)) (4271).

(124) رواه مسلم (2684).

وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (90).

أي: وأمَّا إنْ كان الميِّتُ مِن أصحابِ اليَمينِ.

فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (91).

أي: فيُقالُ له: سَلامٌ لك لأنَّك مِن أصحابِ اليمينِ.[125]

وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (92).

---

(125) نقل ابنُ القيم (٣/ ١٢٦) في معنى: ﴿فَسَلَامٌ لَكَ مِن أَصْحَابِ اليَمِينِ﴾ عن الكلبي قوله: «يُسلّم عليه أهل الجنة، ويقولون: السلامة لك».

ثم وجَّهه بقوله: «وعلى هذا فقوله: ﴿مِن أَصْحَابِ اليَمِينِ﴾ أي: هذه التحية حاصلة لك مِن إخوانك أصحاب اليمين، فإنه إذا قَدم عليهم حيَّوه بهذه التحية، وقالوا: السلامة لك».

ثم علَّق بقوله: «وفي الآية أقوال أُخر، فيها تكلّف وتعسّف، فلا حاجة إلى ذكرها».

رجَّح ابنُ جرير (٢٢/ ٣٨١) في معنى: ﴿فَسَلَامٌ لَكَ مِن أَصْحَابِ اليَمِينِ﴾ «أن يُقال: معناه: فسلامٌ لك أنك من أصحاب اليمين.

ثم حُذفت» أنّ «، واجتُزِئ بدلالة» مِن «عليها منها، بمعنى: فسلِمْتَ من عذاب الله، ومما تَكْرَهُ؛ لأنك من أصحاب اليمين».

وذكر ابنُ عطية (٨/ ٢١٥) أنّ المعنى: «ليس في أمرهم إلا السلام والنجاة مِن العذاب، وهذا كما تقول في مدح رجل: أما فلان فناهيك به، أو بِحَسْبك أمْرُه،.

هذا يقتضي جملة غير مُفَصَّلة من مدحه».

ثم نقل أقوالًا أخرى في معنى الآية، فقال: «وقد اضطربت عبارات المتأوّلين في قوله تعالى: ﴿فَسَلَامٌ لَكَ﴾ فقال قوم: المعنى: فيقال له: مُسَلَّم لك أنك من أصحاب اليمين.

وقال الطبري: المعنى: فسلامٌ لك أنك من أصحاب اليمين.

وقيل: المعنى: فَسَلَامٌ لَكَ يا محمد».

ثم وجَّه القول الأخير بقوله: «أي: لا ترى فيهم إلا السلامةَ من العذاب، فهذه الكاف في ﴿لَكَ﴾ إما أن تكون للنبي –وهو الأظهر– ثم لكلِّ معتبر فيها من أمَّته، وإما أن تكون لمن يخاطبه من أصحاب اليمين، وغير هذا مما قيل فيه تكلُّف».

أي: وأمَّا إن كان الميِّتُ مِنَ المُكَذِّبينَ بآياتِ اللهِ، الضَّالِّينَ عن سَبيلِه.

فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ (93).

أي: فله ضِيافةٌ مِن شَرابٍ قد بَلَغ الغايةَ في الحَرارةِ!

وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (94).

أي: وله نارٌ شَديدةُ التَّوَقُّدِ يُقاسِي حَرَّها.

عن البَراءِ بنِ عازِبٍ رَضِيَ اللهُ عنهما، عن النَّبِيِّ - ﷺ - قال: ((وإنَّ العَبدَ الكافِرَ إذا كان في انْقِطاعٍ مِنَ الدُّنيا، وإقبالٍ مِنَ الآخِرَةِ، نَزَل إليه مِن السَّماءِ مَلائكةٌ سُودُ الوُجوهِ، مَعَهمُ المُسُوحُ، فيَجْلِسون منه مَدَّ البَصَرِ، ثُمَّ يَجيءُ مَلَكُ الموتِ حتَّى يَجْلِسَ عِندَ رأسِه، فيقولُ: أيَّتُها النَّفسُ الخبيثةُ، اخْرُجي إلى سَخَطٍ مِن اللهِ وغَضَبٍ! فتَفرَّقُ في جسَدِه، فيَنتزِعُها كما يُنتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ المَبْلولِ، فيأْخُذُها، فإذا أخَذَها لَم يَدَعُوها في يَدِه طَرْفَةَ عَينٍ حتَّى يَجْعَلوها في تِلك المُسوحِ، ويَخْرُجُ مِنها كأنْتَنِ رِيحِ جِيفةٍ وُجِدَت على وَجهِ الأرضِ. فيَصْعَدونَ بها، فلا يَمُرُّون بها على مَلأٍ مِنَ الملائكةِ إلَّا قالوا: ما هذا الرُّوحُ الخبيثُ؟! فيَقولونَ: فُلانُ بنُ فُلانٍ؛ بأقبَحِ أسمائِه الَّتي كان يُسمَّى بها في الدُّنيا، حتَّى يُنتَهى به إلى السَّماءِ الدُّنيا، فيُستَفتَحُ له، فلا يُفتَحُ له، ثُمَّ قرَأ رَسولُ اللهِ - ﷺ -: لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ [الأعراف: 40]. فيَقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: اكْتُبوا كِتابَه في سِجِّينٍ في الأرضِ السُّفْلى، فتُطرَحُ رُوحُه طَرحًا. ثُمَّ قرَأ: وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ

الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ [الحج: 31]. فتُعادُ رُوحُه في جَسَدِه، ويأْتيه مَلَكانِ، فيُجْلِسانِه، فيَقُولانِ له: مَن ربُّك؟ فيَقولُ: هاهْ هاهْ! لا أَدْري، فيَقولانِ له: ما دينُك؟ فيقول: هاهْ هاهْ! لا أَدْري، فيَقولانِ له: ما هذا الرَّجُلُ الَّذي بُعِثَ فيكم؟ فيقول: هاهْ هاهْ! لا أَدْري، فيُنادي مُنادٍ مِن السَّماءِ: أنْ كَذَب، فأفْرِشوا له مِنَ النَّارِ، وافْتَحوا له بابًا إلى النَّارِ، فيَأتيهِ مِنْ حَرِّها، وسَمُومِها، ويُضيَّقُ عليه قَبرُه حتَّى تَختَلِفَ فيه أَضلاعُه، ويأتيه رجُلٌ قَبيحُ الوَجْهِ، قبيحُ الثِّيابِ، مُنتِنُ الرِّيحِ، فيَقولُ: أبْشِرْ بالَّذي يَسوؤُك! هذا يومُك الَّذي كُنتَ تُوعَدُ، فيَقولُ: مَن أنتَ؛ فوَجْهُك الوَجهُ يَجيءُ بالشَّرِّ، فيَقولُ: أنا عمَلُك الخَبيثُ، فيَقولُ: رَبِّ لا تُقِمِ السَّاعةَ)).[126]

---

(126) أخرجه ابنُ أبي شَيْبَةَ في ((المصنَّف)) (12059)، وأحمد (18534)، والطيالسي (789)، والحاكم في ((المستدرك)) (107) بألفاظٍ مُتقارِبةٍ.

صَحَّح الحديثَ الألبانيُّ في ((صحيح الترغيب)) (3558)، وحَسَّنه المُنذِريُّ في ((الترغيب والترهيب)) (280/4).

وصَحَّح إسنادَه الطَّبريُّ في ((مسند ابن عمر)) (494/2)، والبَيْهَقيُّ في ((شُعَب الإيمان)) (300/1)، وقال ابن مَنْدَه في ((الإيمان)) (398): إسنادُه مُتَّصِلٌ مَشهورٌ ثابتٌ على رَسمِ الجماعةِ.

إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (95).

أي: إنَّ هذا المذكورَ عن المُقَرَّبينَ وأصحابِ اليَمينِ وعن المُكَذِّبينَ الضَّالِّينَ، وما يَصيرونَ إليه: لَهُوَ خَبَرٌ أكيدٌ لا شَكَّ فيه، وأمرٌ ثابِتٌ لا بُدَّ مِن وُقوعِه.(127)

فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (96).

فنَزِّهْ ربَّك المُتَّصِفَ بكَمالِ العَظَمةِ –يا مُحَمَّدُ– عن كُلِّ نَقصٍ وعَيبٍ، قائِلًا: سُبحانَ رَبِّيَ العَظيمِ.(128)

---

(127) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٢١٦) في إضــافة الحق إلى اليقين قولين، فقال: «فذهب بعضُ الناس إلى أنه من باب» دار الآخرة «و» مسجد الجامع «.

وذهبت فرقة من الحُذّاق إلى أنه كما تقول في أمر تؤكده: هذا يقين اليقين، أو صواب الصواب، بمعنى أنه نهاية الصواب».

ثم علَّق على الأخير بقوله: «وهذا أحســن ما قيل فيه، وذلك لأن» دار الآخرة «وما أشـبهها يحتمل أن تقدِّر شـيئًا أضـفت الدار إليه، ووصــفته بالآخرة، ثم حذفته، وأقمت الصــفة مقامه، كأنك قلت:» دار الرجعة الآخرة «، أو» دار النشـأة الآخرة «، أو» الخلقة الأخيرة «، وهنا لا يتَّجه هذا، وإنما هي عبارة مبالغة وتأكيد، معناها: أنّ هذا الخبر هو نفس اليقين وحقيقته».

(128) ذكر ابن عطية (٨/ ٢١٦) احتمالين في معنى الآية: الأول: «أن يكون المعنى: ســبّح الله تعالى بذكر أسمائه العُلى، و» الاسم «هنا بمعنى الجنس».

ثم وجَّهه بقوله: «أي: بأسماء ربك، و﴿العظيم﴾ صفة للرَّبّ تعالى».

الثاني: «أن يكون» الاسم «هنا واحدًا مقصودًا، ويكون ﴿العظيم﴾ صفة له».

ثم وجَّهه بقوله: «فكأنه أمَره أن يسبِّحه باسمه الأعظم، وإن كان لم يَنُصَّ عليه، ويؤيد هذا ويشير إليه اتصال سورة الحديد، وأولها فيه التسبيح وجملةٌ من أسماء الله تعالى، وقد قال ابن عباس – رضي الله عنهما –: اسم الله الأعظم موجود في ستِّ آياتٍ من أول سورة الحديد.

فتأمّل هذا؛ فإنّه مِن دقيق النظر، ولله تعالى في كتابه العزيز غوامضُ لا تكاد الأذهان تُدركها».

تمَّ بحمدِ الله تعالى المجلَّدُ السَّادِسُ والثَّلاثونَ

ويَليه المجلَّدُ السَّابِعُ والثَّلاثونَ، وأوَّله: تفسير سُورة الحَديدِ

الفهرس

" نُسْخَةٌ إِلِكْتِرُونِيَّةٌ، حُقُوقُهَا مَحْفُوظَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ "

نسخة إلكترونية

المغني في التفسير

المُحَرِّرُ الجَامِعُ لِتَفَاسِيرِ السَّلَفِ

[تَهْذِيبُ التَّفْسِيرِ المُحَرَّرِ لِلدُّرَرِ السَّنِيَّةِ]

[مُطَرَّزًا بِحَاشِيَةٍ مِنْ تَحْرِيرَاتٍ وَتَرْجِيحَاتٍ وَتَعْلِيقَاتِ عُيُونِ تَفَاسِيرِ المُحَقِّقِينَ فِي التَّفْسِيرِ:

{ابْنِ جَرِيرٍ، وَابْنِ عَطِيَّةَ، وَابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ، وَابْنِ كَثِيرٍ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى}

كَتَبَهُ وَاعْتَنَى بِهِ

د/ هَانِي بْن عَبْده

د/ آلَاء رِضَا